جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات أدبية
أدب حديث ومعاصر

رقم: ح 3

إعداد الطالبة:
سهـــيلة نـــاجي

يوم: 18/06/2023

سلطة الفضاء الصحراوي في رواية "جذور وأجنحة لسليم بتقة"

لجنة المناقشة:

غنية بوضياف	د.	جامعة محمد خيضر	رئيسا
سليم بتقة	**أ. د.**	جامعة محمد خيضر	**مشرفا ومقررا**
عبد الحميد جودي	د.	جامعة محمد خيضر	مناقشا

السنة الجامعية : 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من أوصى عليها الرحمان وحبيبه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم

أمي حفظك الله يا جنتي"

إلى من أفتخر به سندي والدي جعلك الله ملجأي

طاب بك العمل وطيب لي عمر "يا أبي"

إلى إتكائي وقوتي وضلعي الثابت "إخوتي"

حفظكم الله في حفظه وسدد خطاكم

إلى صحبتي الصالحة إلى من يهون كل شيء وأنت في صحبتي

أسأل الله كل السعادة لقلبك

شكر وعرفان

من ظنَّ بالله خيرا، فلن يخيب الله ظنه، ومن شكر الله على نعمة.

زاده الله من فضله، ومن توكل على الله فهو حسبه.

فلله كل الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم

سلطانه وعلا مكانته.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من صنع إليكم معروفا

فكافئوه، فإنْ لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنّكم كافأتموه)).

عرفانا بالجميل لأهل العطاء أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي المشرف "سليم بتقة"

على تأطيره لهذا البحث وعلى نصائحه وتوجيهاته وإرشاداته القيمة

دمت للعطاء عنوانا، فلك كل الاحترام والتقدير.

كما أتوجه أيضا بكلمات الشكر إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة

الذين قبلوا قراءة هذا العمل ومناقشته وتصويبه.

دون أنْ أنسى كل من مد لي يد العون فجزاكم الله كلّ خير.

مقدمة

مقدمة

تعد الرواية من أهم فنون التواصل المعرفي، ومرآة عاكسة للحياة؛ فهي تحمل في طياتها كل خصائص الحياة في شكلها الفني الذي لا يكتمل إلا بوجود مكوناتها السردية، التي تجعلها تمتلك سمات أدبية فنية التي تمييزها وتجعلها بارزة مع الفنون الأخرى، وتجعل منها الأكثر رواجا وانتشارا في الساحة الأدبية.

كما يتميز الفضاء من بين مكونات الرواية التي فرضت نفسها في الدراسات الأدبية الحديثة باعتباره جزءا أساسيا في بناء النص الروائي، الذي قد يؤدي دوره كأيّ عنصر من عناصر الرواية، وقد يتعلق حضوره بحسن استثمار الفنان له من خلال نقل وقائعه الثقافية والاجتماعية بصورة فنية.

ينظر إلى فضاء الصحراء على أنّه من بين الفضاءات الجديدة في الدراسات الحديثة التي اتجهت الأنظار إليه، وتزايد الاهتمام به، بحيث زالت الصورة القديمة والمبهمة حول هذا الفضاء بعد الرحلات الاستكشافية، وانجذاب الأدباء نحو هذا الفضاء كتابا وشعراءً واكتشاف خباياه الحبلى بالأسرار والتعرف على ميزته الجذابة وتجسيد صوره المتمثلة في الصحراء بكل مميزاتها.

ومن بين الروائيين الذين وظفوا على طرح الفضاء الصحراوي في أعمالهم "سليم بتقة" في رواية "**جذور وأجنحة**" ومن هذا جاء الموضوع موسوما بـ"سلطة الفضاء الصحراوي في رواية جذور وأجنحة لسليم بتقة".

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع هو:

-أهمية الفضاء الصحراوي كفضاء ظاهر في الروايات العربية الحديثة ومكون أساسي فيها.

-كذا يعود سبب اختياري لهذا الموضوع أنّني أحد أطراف هذا الفضاء بحكم أنّ الصحراء هي منشئي ومرتع صباي.

وإشكالية البحث:

-ما المصوغ لسلطة الفضاء الصحراوي في رواية جذور وأجنحة؟

وكيف كانت هندسة الفضاء الصحراوي في الرواية؟، وما العلاقة بين الفضاء الصحراوي والمكونات السردية الأخرى؟، وكيف جاء الفضاء الصحراوي ما بين الواقعي والعجائبي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة اعتمدت على خطة بحث تتألف من فصلين، نظري وتطبيقي ثم خاتمة. جاء الفصل الأول معنونا "**بالفضاء السردي**" حيث احتوى على ثلاثة محاور:

-مفهوم الفضاء السردي.

-أنواع الفضاء السردي.

-التمييز بين الفضاء والمكان.

أمّا بالنسبة إلى الفصل الثاني فعنون "**بسلطة الفضاء الصحراوي في رواية جذور وأجنحة**"، وقد احتوى هو الأخير على ثلاثة محاور:

-هندسة الفضاء الصحراوي في الرواية.

-علاقة الفضاء الصحراوي بمكونات الرواية (الزمان، الشخصية واللغة).

-الفضاء الصحراوي بين الواقعي والعجائبي.

وقد اعتمدت على المنهج البنيوي لكونه يلاءم موضوع الدراسة.

ولانجاز هذا البحث اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

-سليم بتقة: جذور وأجنحة (رواية) كأساس الدراسة ، كذا عدد من المراجع، والمجلات منها:

-حورية الظل: الفضاء في الرواية العربية الجديدة.

-حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.

-حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية.

-صالح ولعة: المتخيل الصحراوي في الرواية العربية.

وكغيره من البحوث العلمية صادفتني بعض الصعوبات والتي تمثلت في:

-صعوبة إيجادي للمادة العلمية حول الفضاء.

-حسب رأي قلة الدراسات التي تناولت الفضاء الصحراوي.

وفي هذا البحث لا يسعني إلا أن أشكر الله عز وجل الذي وفقني لإتمامه، كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل "سليم بتقة" على إشرافه وتوجيهاته، وله مني فائق التقدير والاحترام.

الفصل الأول: الفضاء السردي

1-مفهوم الفضاء السردي

2-أنواع الفضاء السردي

3-التمييز بين الفضاء والمكان

1-مفهوم الفضاء السردي

تعدد مفهوم مصطلح الفضاء من باحث لآخر ومن دراسة لأخرى بحيث نجد:

1-1: الفضاء لغة

تعد المعاجم اللغوية المرجع الأساسي في تحديد المصطلحات العلمية والتي من بينها موضوع الفضاء، ومن هذه المعاجم نجد:

يعد لسان العرب لابن منظور نموذجا لغويا لتحقيق ذلك. حيث نجد: «مادة فضا الفضاءُ: المكان الواسع من الأرض والفعل فضا يَفْضُو فُضُوا فهو فاضٍ، قال رؤية: أفرخ قيضْ بيضها المنقاضِ، عنكم كرامًا بالمقام الفاضي وقد فضا المكان وأفض إذا اتسع»[1].

وإذا ما انتقلنا إلى المعاجم المعاصرة لنرى ما قدمته من معان نجد معجم الوسيط لـ"عبد القادر الرازي" يقدم مصطلح الفضاء كالآتي:

«(الفَضَاءُ): ما اتسع من الأرض والخالي من الأرض ومن الدار، ما اتسع من الأرض أمامها، ومن بين الكواكب والنجوم من مسافات لا يعلمها إلا الله»[2].

أما بالنسبة لمختار الصحاح فنجد: «ف ض ا. (الفَضَّاءُ) الساحة وما اتسع من الأرض، وقد (أفضى) خرج للفَضَّاءِ، وأفضى إليه بيسره وأفضى بيده إلى الأرضِ مسهما بباطن رَّاحته في سجوده»[3].

ونجده في معجم السيميائيات كالآتي يفترض (لفضاء) اعتبار الحواس في سيميائية الاهتمام بالفاعل كمنتج ومستهلك للفضاء[4].

1_جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 139.

2_براهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج1، د ط، د ت، ص 694.

3_محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986، ص 212.

4_فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 1431-2010، ص 124.

كما جاء الفضاء لغة عند وليد شاكر نعاس في كتابه المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا بأنّه المكان الواسع بقوله: «المكان الواسع من الأرض وفضا المكان وأفضى إذا اتسع»[1].

من خلال المفاهيم اللغوية نستنتج أن الفضاء ما هو إلا الاتساع والخلاء.

1-2: الفضاء اصطلاحا

إنّ الفضاء من المصطلحات النقدية التي دخلت عالم الدراسات والبحوث حديثا، وفرضت نفسها، بقوة بعد أن أهملت سابقا بسبب انصراف النقاد والباحثين إلى التركيز على عناصر أخرى كالزمن والشخصيات والأحداث... الخ، ولكن الفضاء في الحقيقة يعد هو أيضا عنصرا أساسيا من عناصر النص الروائي وقد أدرك ذلك شلة من الباحثين[2] بحيث اشتق الفرنسيون والإنجليز مصطلحي (espace) و(Space) من لفظة (Spatuim) اللاتينية، التي تعني في الأصل الامتداد واللا محدود الذي يحوي كل الامتدادات الجزئية المحددة، في حين لم يعرف الإغريق لفظة (الفضاء) إذ لم تظهر في لغتهم كلمة تحل على المكان إنّما عرفوا لفظة (To pos) وتعني موقع[3].

ولقد جاء في لاروس أنّ: «الفضاء هو المكان غير المحدد الذي يحتوي كل الأمكنة والأشياء[4]، فالفضاء عالم واسع تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، معيار القياس الوعي والعلائق والترتيبات الوجودية والاجتماعية والثقافية»[5].

1_وليد شاكر نعاس، المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، دار تموزة، دمشق، ط1، 2014، ص 70.

2_فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 123.

3_زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، قسم الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 6، جانفي 2010، ص 3.

4_حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مخلوقات الأشواق الطائرة، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2011-1432، ص 26.

5_حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000، ص 5.

نجد عبد الملك مرتاض في كتابه "في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد" يقابل مصطلح الحيز لمصطلح الفضاء بقوله لقد خصنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابلا للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي Espace Sepace في كل كتاباتنا الأخيرة[1].

ونجد حميد لحميداني أشار إلى مصطلح الفضاء كمعادل للمكان، يفهم الفضاء في هذا التصور على أنه الحيز المكاني في الرواية أو الحكي عامة «فالفضاء هنا معادل لمفهوم المكان في الرواية، ولا يقصد به بالطبع المكان الذي تشتغله الأحرف الطباعية التي كتبت بها الرواية، ولكن ذلك المكان الذي تصوره قصتها المتخيلة»[2].

أما سمر روحي الفيصل فيرى «أن الفضاء أكثر اتساعا من المكان فهو يشمل أمكنة الرواية كلها إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظورات الشخصيات، ولاحظ أن تحليل المكان في الرواية يقود إلى تحديد طبيعة الفضاء الروائي فيها»[3].

وكذا الناقد سعيد يقطين أشار إلى مفهوم الفضاء بقوله «إنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي وإن كان أساسيا إنه يسمح بالبحث في فضاءات تتعدى المحدود المجسد لمعانقة التخييلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع مقولة الفضاء»[4].

ومن خلال المفاهيم الاصطلاحية نستنتج أن الفضاء أكثر اتساعا من المكان.

1_عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، مطابع الرسالة، الكويت، د ط، ديسمبر 1996، ص 141.

2_حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي لطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2000، ص 54.

3_عبد الله توام، "دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية رواية الآن... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى، لعبد الرحمان منيف"، شهادة دكتوراه ، تخصص السيميائيات وتحليل الخطاب، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، إشراف: هواري بلقاسم، جامعة أحمد بن بلة، وهران1، 2015-2016، ص 16.

4_وليد شاكر النعاس، المكان والزمان في النص الأدبي، ص 70.

2-أنواع الفضاء السردي

ينقسم الفضاء إلى الأنواع الآتية:

2-1: الفضاء كمنظور أو كرؤية

والمقصود بالرؤية أو المنظور إنما هي رؤية الكاتب الذي يسير الرواية، وقد تحدثت عن هذا النوع "جوليا كريستيفا" تحت ما أسمته الفضاء النصي للرواية فتقول: «هذا الفضاء محول إلى كل، إنّه واحد وواحد فقط، مراقب بوجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، كل الخطوط تتجمع في العمق، حيث يقبع الكاتب، وهذه الخطوط هي أبطال الفاعلون Les Actants الذين تنسج الملفوظات بواسطتهم المشهد الروائي؟»، فهذا النوع من الفضاء إنما له علاقة وطيدة بالكاتب، أو الراوي، كونه هو راسم الخطة العامة للرواية وهو المدير للحوار، والمقيم للحدث الروائي بواسطة الأبطال[1].

والواقع أن ما تتحدث عنه "كريستيفا" هنا يشبه إلى حد بعيد ما يسمى بزاوية رؤية الراوي، وهو مبحث له علاقة بموضوع السرد الروائي وقد كتب في هذا الموضوع بشكل مقتضب الشكلاني "توما تشفسكي" خاصة عندما تحدث عن السّرد الموضوعي والسرد الذاتي كما فصل القول فيه الناقد الفرنسي "جان بويون J.Pouillon" واستفاد من هذا جملة من النقاد الفرنسيين نذكر منهم "تودوروف"[2].

2-2: الفضاء النصي

ويسميه البعض الفضاء الطباعي، ويعرفه حميد لحميداني بقوله «الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق، ويشمل ذلك طريقة تصميم

1_فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 132.

2_حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 62.

الغلاف، ووضع المطالع وتنظيم الفصول وتغيرات الكتابة المطبعية، وتشكيل العناوين وغيرها»[1].

ولقد كان اهتمام "ميشال بتور" بهذا الفضاء كبيرا، وهو لم يحصر اهتمامه في الرواية وحدها، وإنما نظرا إلى فضاء النص بالنسبة لأي مؤلف كان[2].

إنّ الفضاء النصي هو أيضا فضاء مكاني لأنه «لا يتشكل إلا عبر المساحة مساحة الكتاب وأبعاده، غير أنه مكان محدود ولا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال فهو مكان تتحرك فيه على الأصح عين القارئ، هو إذن بكل بساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة»[3].

يرى حميد لحميداني أنّ للفضاء النصي عدة مظاهر أهمها:

أ-الكتابة الأفقية: وهي كتابة على الصفحة بشكل عادي تبتدئ من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال مما يعطي انطباعا بتزاحم الأحداث والأفكار في ذهن البطل الرئيسي.

ب-الكتابة العمودية: أي استغلال جزء من الصفحة في الكتابة إما على اليمين أو على اليسار، وهي عبارة عن أسطر قصيرة متفاوتة الطول فيما بينها وعادة ما تستغل لتضمين النص الروائي أشعارا على النمط الحديث.

ج-التأطير: وهو كما يسميه "ميشال بوتور" الصفحة داخل الصفحة ويأتي عادة وصف الصفحة المكتوبة بكتابة بيضاء وقد يأتي داخل إطار من الكتابة المتنوع.

1_كريمة بورويس، بنية الفضاء الرعوي في الشعر العذري، شهادة ماجستير في الأدب العربي القديم، قسم اللغة العربية، كلية الأدب واللغات، إشراف: الأخضر عيكوش، جامعة قسنطينة، 2004-2005، ص 38.

2_حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 55.

3_المرجع نفسه، ص 56.

د-البياض: وهو عادة يعلن عن نهاية فصل أو نقطة محددة في الزمان والمكان، ويفصل بين الانقطاعات الحديثة والزمانية بإشارات كأنْ توضع في بياض فاصل ختمات ثلاث كالتالي[1]:

على أنّ البياض يمكن أنْ يتخلل الكتابة ذاتها للتعبير عن أشياء محذوفة أو مسكون عنها داخل الأسطر وفي هذه الحالة تشغل البياض بين الكلمات والجمل نقاط متتابعة قد تنحصر في نقطتين وقد تصبح ثلاث نقط فقط أو أكثر. وعند البياض بين فصول الرواية عادة ما يتم الانتقال إلى صفحة أخرى، وقد يكون هذا الانتقال دالا على مرور زمني أو حدثي وما يتبع ذلك أيضا من تغيرات مكانية على مستوى القصة ذاتها[2].

و-ألواح الكتابة: وهي كلمات أو فقرات أو لغات أجنبية ترد داخل الكتابة الأصلية، وتكون في الحوار غالبا.

ي-التشكيل: ويتمثل في الغلاف الأمامي والخارجي للنص الروائي خاصة، ونجد أنماطا مختلفة منه في رواياتنا الحديثة من مثل تشكيل واقعي، وتشكيل تجريدي.

وغالبا ما تكون على شكل رسومات تخيل بشكل مباشر على أحداث الرواية، أو على الأقل مشهد مجسد من هذه الأحداث أو مقاطع من الرواية دالة على قمة التأزم النفسي للبطل، أما العناوين وكل الإشارات الموجودة في الغلاف فهي دالة على تشكيل المظهر الخارجي للرواية وكذلك مواقع كل هذه الإشارات لدلالات جمالية أو فنية، فالعنوان مثلا هو مفتاح المتلقي إلى عوالم النص من الداخل إلى الخارج فالعلاقة بين العنوان والنص علاقة جدلية إذ بدون نص يكون العنوان وحده عاجزا عن تكوين محيطه

1_فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 130.

2_حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 58.

الدلالي، وبدون العنوان يكون النص باستمرار عرضة للذوبان في نصوص أخرى وعليه فإن العنوان كعلاقة أو أمارة تشير إلى النص يكون أشبه بالهوية[1].

2-3: الفضاء الجغرافي

إن مفهوم الجغرافيا يعني كما يدل عليه أصله الإغريقي، "وصف الأرض" والحق أنّ هذا اللفظ مركب من جذرين اثنين، سابقة "Gé" ومعناها الأرض، ولاحقة (graohie،Graphe)، ومعناها أو معناهما "الكتابة". فكأن لفظ الجغرافيا انطلاقا من أصله الإغريقي القديم يعني علم المكان، أو مثول المكان في مظاهر مختلفة، وأشكال متعددة: الجبال، السهول، والهضاب، والوديان، والغابات، والتلال[2].

والفضاء الجغرافي هو مقابل لمفهوم المكان ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إن الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون فيه[3]، وقد تحدثت عنه "جوليا كريستيفا" جاعلة إيّاه مرتبطا أشد الارتباط بدلالته الحضارية، فهو وإن كان متشكلا من العالم القصصي فإنّه يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له والمرتبطة بعصر معين تسوده ثقافة معينة[4].

2-4: الفضاء الدلالي

تحدث عنه "جيرار جينيت" يقول إنّ لغة الأدب بشكل عام لا تقوم بوظيفتها، بطريقة بسيطة إلا نادرا فليس للتعبير الأدبي معنى واحد، إنّه لا ينقطع عن أن يتضاعف، ويتعدد

1_المرجع السابق، ص 131.

2_عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 143.

3_حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 62.

4_فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 132.

إذ يمكن لكلمة واحدة مثلا أنّ تحمل معنيين تقول البلاغة عن أحدهما بأنّه حقيقي وعن الآخر مجازي[1].

من هذا نشأ ما يسمى بالفضاء الدلالي الذي يرى "جينيت" أنّه يتأسس بين المدلول المجازي، والمدلول الحقيقي وهذا الفضاء له علاقة وطيدة بالشعر، وهو ليس مبحث ضروريا في السرد، ولأنه يمكن أن يدرج كما يرى "لحميداني" تحت عنوان عام هو "المجاز" كونه مجرد مسألة معنوية، فإنه ليس من الضروري أن يكون مبحثا حقيقيا فيما يسمى الفضاء[2].

إنّه يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد، يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام[3].

3-التمييز بين الفضاء والمكان

من خلال المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الفضاء يتبين أنّه من أهم مكونات الرواية، كما يتبين أيضا أن مصطلح الفضاء مقابل لمصطلح المكان بحيث نجد فيروز الآبادي في القاموس المحيط يتحدث في مفهوم المكان «المكانُ: الموضِعُ: أمكنَّة وأماكِنُ بالفتح: نَبتٌ، ووادٍ مُمّكِنٌ: ينبِتُه المكانُ: الموضِعُ: أَمّكِنَةٌ وأماكِنُ. والمَكْنانُ، بالفتح نَبُتٌ، ووادٍ مُمْكِنٌ: يُنْبِتُه وأبو مَكينِ، كأَميرٍ: نُوحُ بن رَبيعَةَّ، تابعِي ومَكَّنَتُه من الشيء، وأمكنتُه منه، فتمكن واسْتَمْكَنَ»[4]، كما أن المكان عند أهل اللغة «يأتي مساويا الموضع

1_حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 60.

2_فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 132.

3_حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 62.

4_الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426، ص 1235.

والجمع أمكنة وأماكن، يقول ابن منظور: توهموا الميم أصلا حتى قالوا تمكن في المكان»[1].

ومن هنا نجد أنّ التمييز بين الفضاء والمكان أمر ضروري وذلك للشرح وإزالة ما هو مبهم،وفي هذا السياق نجد "حميد لحميداني" يقول «الحديث عن مكان محدد في الرواية يفترض دائما توقعا زمنيا لسيرورة الحدث، لهذا يلتقي وصف المكان مع الانقطاع الزمني، في حين أن الفضاء يفترض دائما تصور الحركة داخله، أي يفترض الاستمرارية الزمنية»[2].

ونجد أنّ الفضاء واسع، والمكان هو مكون له «الفضاء أشمل وأوسع من المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة، ومتفاوتة فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا»[3].

إنّه العالم الواسع الذي يشمل مجموع أحداث الرواية، إنّ الفضاء وفق هذا التحديد شمولي إنّه يشير إلى "المسرح" المسرح الروائي بكامله والمكان يمكن أنّ يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي[4].

يؤكد حميد لحميداني بقوله أنّ الفضاء أوسع وأشمل من المكان وأنّ المكان السردي ينطوي تحت الفضاء السردي «إنّ الفضاء في الرواية هو أوسع، وأشمل من المكان، إنّه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر أم تلك التي تدرك بالضرورة، وبطريقة ضمنية مع كل حركة

1_حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة مخلوقات الأشواق الطائرة، ص 25.

2_حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

3_حسن نجمي، شعريه الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 57.

4_المرجع نفسه، ص 57.

حكائية. ثم إنّ الخط التطوري الزمني ضروري لإدراك فضائية الرواية بخلاف المكان المحدد، فإدراكه ليس مشروطا بالسيرورة الزمنية للقصة»[1].

وفي نفس هذا المضمار يتفق الناقد سعيد يقطين مع حميد لحميداني في تمييزه بين الفضاء والمكان بقوله «إن الفضاء أعم من المكان، لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسيا، إنّه يسمح لنا بالبحث في الفضاءات تتعدى المحدد والمجسد لمعانقة التخييلي، والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء»[2].

ونجد أنّ الفضاء مميز على المكان، إنّه يحوي الأمكنة جميعا ويلفها، وأنّ الفضاء هو نوع من الوسط غير محدد حيث تتسكع فيه الأمكنة أو لنقل بعبارة أخرى: «إن الأمكنة جزر في الفضاء أكوان صغرى منفصلة»[3]، أي أن الفضاء أوسع وأشمل من المكان.

ومن خلال ما سبق استنتج أنّ التمييز بين الفضاء والمكان هو:

- أنّ المكان في الرواية هو مكوّن محدود بينما الفضاء هو مكوّن سردي شامل.

- أنّ المكان السردي يستدعي الحدود بينما الفضاء يستدعي الاتساع والشمولية.

-كذا المكان مرتبط بالزمن بينما الفضاء مرتبط بكل أبنية الرواية المكان والزمان والأحداث والشخصية.

1_حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 64.

2_بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والرواية، رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني (نموذجا)، مجلس تنمية الإبداع الثقافي الجماهيرية، بنغازي، ط1، 2004، ص 26.

3_زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي، ص 15.

–وأن هناك علاقة بينهما وهي أن المكان يندرج تحت الفضاء، أيْ أن المكان هو مكوّن للفضاء.

ومن خلال هذا الفصل نجد أن الفضاء السردي أنه من أهم مكونات الرواية وأنّه الأكثر اتساعا من المكان.

الفصل الثاني: سلطة الفضاء الصحراوي في رواية جذور وأجنحة

1-هندسة الفضاء الصحراوي في الرواية

2-علاقة الفضاء الصحراوي بمكونات الرواية

(الزمان، الشخصية واللغة)

3-الفضاء الصحراوي بين الواقعي والعجائبي

1-هندسة الفضاء الصحراوي في الرواية

تجاوزت الكتابة عن الصحراء كونها فضاء جغرافيا تحتله الرمال إلى مكّون آخر ذو بعدٍ يختلف عن كونه مقابلا للمدينة، وهذا ما ذهب إليه صالح ولعة فيقول: الكتابة عن الصحراء لم تعد بالمنظور المعاصر كتابة بمقابل الكتابة عن المدينة، بل هي كتابة عن فضاء مفتوح مليء بالأسرار، يشد القارئ إليه ويراوده في كل حين، ففي الأدب العربي المعاصر كتابات عديدة جعلت من الصحراء موضوعا لها[1].

وهذا ما قد نجده في رواية جذور وأجنحة، من خلال سيطرت سلطة الفضاء الصحراوي عبر مختلف صفحاتها، حيث نجد هندسة هذا الفضاء معادلة للمكان والمتمثلة في الفضاءات الصحراوية المفتوحة والمغلقة وهي كالآتي:

1-1: الفضاء المفتوح

هو فضاء متسع وممتد جغرافيا، أي فيها من الحرية ما يسمح بالانتقال دون قيد[2]، أي عكس الانغلاق حيث يمكن أن تلتقي فيها أعداد الأماكن من البشر، وهي تزخر بالحركة والحياة، وفي مثل هذه الأماكن يتحقق التواصل مع الآخرين، ويقضي على الشعور بالعزلة والوحدة[3].

ومن بين الفضاءات الصحراوية المفتوحة التي قد وجدت في الرواية هي كالآتي:

1_صالح ولعة وآخرون، المتخيل الصحراوي في الرواية العربية، مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2015/2014، ص 72.

2_أمينة أقيس، فعاليات الوصف في بناء الفضاء عند فضيلة فاروق-تاء الخجل أنموذجا، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، مركز العربي الديمقراطي برلين، ألمانيا، المجلد4، العدد13، مايو 2020، ص 182.

3_عبد الله توام، دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية رواية "الآن... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى" لعبد الرحمن منيف أنموذجا، ص 57.

***الصحراء**

يمثل الفضاء الصحراوي عنصرا مهما ومميزا من عناصر السرد في الرواية الجزائرية المعاصرة فالصحراء بما حباها الخالق من خصائص جمالية تساهم في تشكيل الأبعاد الواقعية والمتخيلة للخطاب السردي ككل، فهي تمثل بؤرة إدهاشية لأنها تثير مشاعر متناقضة لدى الإنسان، فهي تثير الرهبة والخوف كما تثير الطمأنينة والسكينة، فقد استأثرت الرواية العربية بالصحراء لجعلها مكانا بؤريا بسبب ما تتمتع به الصحراء من خصوصية عربية مشهدية تنفتح باتجاه فكرية الرحابة القصوى، بالإضافة إلى أنها مكان مفتوح يبدو بلا نهاية وغير قابل لمطلقية الإحاطة وضبط التخوم[1].

في هذا المبحث نستخرج صورة الصحراء بإبراز جمالياتها من خلال رواية "جذور وأجنحة" حيث نجد:

تعد صحراء الجزائرية من الصحاري المعروفة بشمسها الوهاجة وبنخيلها المثمرة الذي تسحر كل من زارها «أشرقت الشمس بعذوبة، وسقطت صغيرة حمراء بين ثنايا أشجار النخيل وعادت لتلقيها بعد أنّ غيرت وجهتها إلى سعفها الأخضر... وانعكست على جدران المنازل بيضاء من فضة»[2]، يمتاز هذا الفضاء بشساعة مناظره الخلابة «هذا الفضاء الشاسع الممتد ذا الجمال الخلاب»[3].

كما أنّه يمتاز بوصف الواحة التي تتميز بالهدوء والسكينة عكس ما نعرف على المدينة التي هي معروفة بالضوضاء «في هذا الفضاء الفسيح في هذا الجزء من الصحراء، لا ضوضاء لا جلبة لا حركة، كل شيء يسلم للهدوء وللسكينة»[4].

1_عبد القادر سلامي، العوفي نوال، الفضاء الصحراوي وجمالية تجريبه –قراءة في المنجز الروائي الجزائري المعاصر، المجلة العربية مداد، المجلد5، العدد12، الجزائر، يناير 2021، ص 119.

2_سليم بتقة، جذور وأجنحة، دار علي بن زيد، حي المجاهدين بسكرة، الجزائر، ط1، 2014، ص 20.

3_الرواية، ص 20.

4_الرواية، ص 11.

تشرق شمس الصحراء منذ الصباح التي تدل على درجات الحرارة توهجها المشع يقول الروائي في «الصباح تبتسم الصحراء في وجه الشمس وهي تصعد مختالة بالشعاع»[1].

وعند ذكر كلمة الصحراء لابد أن يتبادر في أذهاننا نخيلها الجميلة وبساتينها الواسعة والشاسعة يقول الروائي «ترمي عباءتها فوق بساتين النخيل سحب خفيفة عابرة عند الظهيرة»[2].

ورغم هذا الجمال الطبيعي إلا أنّها بيئة قاسية متطرفة المناخ شديدة الحرة دلالة على أنها بيئة صعبة على من لا يقطن فيها يقول الروائي سليم بتقة «الصحراء ليست طبيعة مرهقة ووحشية... عراك دائم هناك مع طبيعتها القاسية»[3].

وكما نجد أيضا الرمال والعواصف الرملية التي تأتي من فينة إلى أخرى تميز الفضاء الصحراوي عن الفضاءات الأخرى يقول الروائي «غير أن العواصف الرملية أفسدت الرحلة، وغيرت مسارها، لنجد الأسرة نفسها وقد تاهت وسط الصحراء ولم تستطع أن تتبين طريقها، فهلكت من شدة العطش ولفحات الشمس المحرقة»[4].

إطلاق كلمة الصحراء على ذلك الفضاء الواسع، قليل النبات، بسبب قلة الأمطار والجفاف الذي قد يصيب هذا الفضاء طيلة العام حيث يقول الروائي «نزل الغيث أخيرا إنه ينزل وكأنه عين عملاقة تغمض وقت الجفاف لكنها تعود وتتفتح كلما طرقت جفونها يد المطر مشهد الصحراء وكأن الماء يخدشها فيبلل معناها ازدحام الغيم وانسداد الشمس وغياب لفحتها»[5].

1_الرواية، ص 44.

2_الرواية، ص 44.

3_الرواية، ص 32.

4_الرواية، ص 88.

5_الرواية، ص 44.

إن قلة الأمطار في الصحراء ليست دليل على أنها خالية جرداء من نمو النباتات والأشجار كما يعتقدها البعض بل هي منطقة متنوعة بثمرها يقول الروائي «يتوسط الدار بهو واسع به شجرة كروم تظلل المكان، وعلى حافته نباتات النعناع الجانب الخلفي للدار عبارة عن مساحة غرست فيها بعض الأشجار المثمرة[1]، والدشرات المجاورة محملة بعراجين التمر المختلفة»[2].

وكذا متميزة بشتائها القاسي الذي لا يتحمله إلا سكانها يقول الروائي «شتاء الصحراء قاس... رياحه الشرسة تستطيع أن تكسر الجماجم، وأن تقطع الرؤوس تماما كالمقصلة»[3].

بالرغم من طبيعة الفضاء الصحراوي القاسية إلا أنّ هناك من تعجبه وتلفته بمساحتها الواسعة ومناظرها الخلابة وهذا ما قد كتبه "ليوتي" (جنرال فرنسي) يصف الصحراء «إنها قارة شمسها حارة، في الليل هناك هذا الخلاء: بمعنى الإحساس بأن شيئا ما يفقد فجأة وبعنف هل هي الحرارة التي ترحل ما أن تختفي الشمس؟ إحساس أو حسب؟ أو شعور باللا ثبات؟ كما لو أننا نلمس هذا الألق الذي مثل رقاق الجليد»[4].

كما قال الكاتب سليم بتقة لا أحد يجيد وصف الصحراء من دقة تفاصيلها وجمال اتساعها في قوله «هذه هي الصحراء جمالها بعيد عن كل وصف»[5].

فضاء الصحراء يتميز بالاتساع والمناظر الخلابة الملفتة وكذا صعوبة الحياة مع حرارتها وجفافها.

1_الرواية، ص 58.
2_الرواية، ص 49
3_الرواية، ص 73.
4_الرواية، ص 21.
5_الرواية، ص 21.

***القرية**

يعتبر فضاء القرية من الفضاءات المفتوحة الواسعة، يتجمع فيه مجموعة من الناس ويستقرون فيه وهي أصغر من المدينة وفي رواية جذور وأجنحة تمثلت القرية في دشرة لحسن الطرهوني أي أنّها فضاء صحراوي «دشرة لحسن الطرهوني الهادئة»[1]، تعتبر مقر استقرار سكانها.

لقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الولي الصالح الطرهوني الذي كان أول من حضر إلى القرية.

يقول الروائي «تحيط بالولي الصالح لحسن الطرهوني حكايات وأساطير يتداولها سكان القرية. يقول بعضها جاء من الشرق من بلاد بعيد»[2]. وكان هذا الاسم تيمنا وبركة «وبعد وفاته ضرب الناس خيامهم حول الصومعة وسكنوا المنطقة ومنذ ذلك الوقت لا يتخلفون عن وعدة الشيخ المبارك سيدي لحسن، وسموا دشرتهم باسمه تيمنا وبركة»[3]. كان كل ما يدور بهاته القرية الواسعة يتحمله سكانها هذا دليل على أنه ملجأهم الوحيد واستقرارهم.

يقول الروائي «البارح جماعة من عندكم يقولو لخيوط انتاع، التليفون والقانون الجديد يقول المسؤلية تتحملها الدشرة كلها، وهكذا باش المرة الجاية تعسو بعضاكم وما بخلوش المخربين يعاودو من جديد»[4].

1_الرواية، ص 8.

2_الرواية، ص 37.

3_الرواية، ص 40.

4_الرواية، ص 61.

كما أنها هاته القرية كانت وجهة فابيان أولا للعمل ومراقبة أهالي الدشرة والثاني لاكتشاف هذا الفضاء والتعرف عليه يقول الروائي «كانت الوجهة دشرة سيدي لحسن الطرهوني الهادئة رافق فابيان جنديان على متن عربة»[1].

كانت رحلة فابيان رحلة استجمام يقول الروائي «سيكون في رحلة اكتشاف واستجمام بأشعة الشمس الدافئة»[2].

بالرغم من أن فضاء القرية واسع إلا أنها تعتبر جزء من فضاء الصحراء يقول الروائي «الفضاء الفسيح في هذا الجزء من الصحراء، لا ضوضاء لا جلبة لا حركة، كل شيء يسلم للهدوء وللسكينة»[3].

في آخر الرواية دمرت هاته القرية هذا الفضاء الواسع يقول الروائي «عند الصباح الباكر كانت الدشرة تدك بالمدافع أصوات الانفجارات تخترق القرى المجاورة من بعيد... بدأت الحرائق تستعر ويتصاعد الدخان وقد أحال نهار الدشرة إلى ظلام»[4].

اختيار فضاء القرية لكونها فضاء شاسع وجزء من الفضاء الصحراوي حيث كانت مقر واستقرار لسكانها وتماسكهم ومنطقة اكتشاف واستجمام لهدوئها إلا أن الفرنسيون يدمرون هذا الجزء إلا أن الصحراء تبقى شامخة بفضل سكانها.

***السوق**

فضاء السوق من الفضاءات المفتوحة الغاية منه التجارة والأخذ والعطاء بين عامة الناس وفي روايتنا جذور وأجنحة لدينا سوق الدشرة يقول الروائي «يمران بالسوق ينظران إلى الباعة ينادون على بضاعتهم»[5].

1_الرواية، ص 8.

2_الرواية، ص 8.

3_الرواية، ص 11.

4_الرواية، ص 117.

5_الرواية، ص 56.

كما نجد فضاء سوق الدشرة له غاية أخرى ليست التجارة وفقط بل هي غاية للتواصل بين الأهالي والحاكم يقول الروائي «يا جماعة يسمعكم خير... سيدي الحاكم راهو جاي للدشرة يخطب عليكم... استمع من كان في السوق يومها إلى دعوة البراح متوجسين من هذه الزيارة»[1].

ذكر السوق في رواية جذور وأجنحة فضاء مفتوح واسع نجد فيه جل الناس يتم فيه البيع والشراء وكذا تتم فيه عملية التواصل وتبادل كل ما يدور في الدشرة من أحداث وأخبار.

***المقبرة**

هي فضاء مفتوح، ترمز المقبرة في المخيال العربي إلى المكان الموحش الذي تنتهي فيه حياة البشر، وهي المكان المحتوم على كل نفس فانية أن تنزل به[2]، وقد شكل حضور المقبرة في الرواية كأنها عادة من عادات أهالي الصحراء لزيارة موتاهم والدعاء لهم بالرحمة وذلك كل صباح يوم جمعة يقول الروائي «إنه يوم الجمعة وهي تتأهب رفقة أمها وزوجة أخيها لزيارة المقبرة»[3].

كانت أغلب النساء تذهب إلى المقبرة لزيارة الأموات «سلكت النسوة رفقة عيسى طريقا خالية من المارة كان الهواء في تلك الصبيحة منعشا بلغوا المقبرة عند القبور المتراصة»[4]، القبور المتراصة تدل على قِدَمِ المقبرة وكذا على أنّها واسعة وفضاءها مفتوح وكذا العادة التي يقوم بها الأهالي هي متوارثة منذ أجيال.

1_الرواية، ص 96.

2_نسيم حرار، عنف الفضاء الروائي في المدينة الجزائرية سنوات التسعينات رواية دم الغزال لمرزاق بقطاش أنموذجا، الميادين لدراسات في العلوم الإنسانية، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية العدد1، د ت، ص28.

3_الرواية، ص 48.

4_الرواية، ص 49.

يقول الروائي «اقترب عيسى من جدته وهو يرسل تنهيدة عميقة ويذرف الدموع رفع يديه إلى السماء وراح يقرأ شيئا مما تعلمه في الجامع»[1]، تأثر عيسى عند رؤية قبر جدته وعم عليه الحزن وراحت دعواته ترسل للسماء.

وفي هذه الرواية كانت المقبرة نقطة التقاء بين فابيان والضاوية يقول الروائي «حمل فابيان معدات الإسعاف وأسرع إلى المقبرة تقدم منهن وراح يشمم المرأة المغشي عليها زجاجة صغيرة استعادت إثرها وعيها أمام مرأى من الضاوية وأمها»[2].

كما أعجب "فابيان" بالضاوية وأصبح ينتظر يوم الجمعة بفارغ الصبر «أصبح فابيان ينتظر يوم الجمعة بفارغ الصبر إنه يعمل منظاره في الضاوية يروق له أن يراها منذ ذلك اللقاء»[3].

ويعود ويصورها الراوي بأنها مكان للحزن والألم وأنه يذهب إليها الإنسان بعد فنائه وكذا تحمل شهداء الأهالي الذين قتلوا من طرف المستعمر الفرنسي إنها الصحراء أرض الشهداء يقول الروائي «حمل الأهالي الشهداء في الغد إلى المقبرة حيث صلوا عليهم صلاة الجنازة ودفنوهم وسط جو مهيب»[4].

المقبرة فضاء واسع وزيارتها يوم الجمعة عادة من عادات أهل الصحراء للدعاء لموتاهم بالرحمة والمغفرة، كما أنها أرض الشهداء الذين قتلوا من طرف المستعمر الفرنسي.

1_الرواية، ص 49.

2_الرواية، ص 50.

3_الرواية، ص 82.

4_الرواية، ص 115.

***الغابة**

فضاء الغابة من الفضاءات التي تجلب للإنسان الراحة والهدوء والسكينة لاتساع مساحتها وخلاءها أي أنها فضاء مفتوح كما أنها مصدر رزق لبعض الفلاحون ولقد وردت في الرواية كالآتي «اعتاد الحاج أن يصطحب من حين لآخر الضاوية والعيد إلى الغابة بستان النخيل»[1]، فهذا يدل على أن الصحراء ما هي إلا غابات وبساتين والنخيل التي تعبر عن الواحة الصحراوية وتعتبر متنفسهم الوحيد الذي يعم بالهدوء والسكينة.

وكما هو معروف عن تمور الصحراء المتنوعة التي هي وليدة النخيل المتواجدة في كل الغابات والبساتين حيث ذكر في الرواية نوع من هاته الأنواع وهو المنقر يقول الروائي «توجه الطيب تلقاء البرج حاملا معه طبقا به رطب (المنقر) ولبن الماعز»[2]، وهذا دلالة على جود وكرم أهل الصحراء وأن عادتهم أن يستقبلوا ضيوفهم بتمرهم.

1-2: الفضاء المغلق

هي الأماكن التي تتصف بأن لها إطار خاص بحيث يفصلها عن العالم الخارجي، وتتصف هذه الأماكن أيضا بأن محيطها ضيق فيستطيع الشخص أن يكون فيها على راحته بعيدا عن صخب الحياة ويفضل البعض هذه الأماكن حيث يشعر فيها بالأمان والحماية وقد يرفضها البعض بسبب أنها صعبة الولوج[3].

ويتحدد انغلاق الفضاء من خلال ما يعكسه على نفسية وسلوك الشخصيات وهذا الانعكاس يعد أمرا مهما، حيث أنه من الممكن أن يكون الفضاء منفتحا بصفة متفق عليها، ولكنه منغلق لما يعكسه على الشخصيات من شعور بالوحدة والاختناق[4].

1_الرواية، ص 56.

2_الرواية، ص 29.

3_نورا سمير محمد وآخرون، جماليات المكان في أعمال إيهاب الورداني القصصية، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، العدد45، 2021، ص 11.

4_وفاء غالية، الفضاء الجغرافي والفضاء النصي في رواية "شرق المتوسط" لعبد الرحمان مضيف، مجلة آفاق، دورية نصف سنوية محكمة عن المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد12، ديسمبر 2016، ص 16.

من بين الفضاءات الصحراوية المغلقة التي برزت في رواية جذور وأجنحة هي كالآتي:

***المنزل**

يعد البيت من أول وأهم الأمكنة التي صنعها الإنسان، وهو الممثل الأول والأبرز لأمكنة الفضاء الذاتي، ففيه ((يقبل الإنسان على ممارسة نفسه وعيش حياته من حيث هو فرد، وفي كتفه يتحرر من قيود دوره الاجتماعي ويسكن إلى ذاته، وقد اكتسب البيت أهمية خاصة في الأدب الروائي باعتباره ممثلا لمظهر الحماية والأمان للإنسان، فهو يحمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة في فضائه بل هو عالم الإنسان الأول[1]، فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا))[2].

تمثل فضاء البيت في الرواية في دار الحاج أمحمد وقد وصفها الروائي بكل تفاصيلها الصحراوية حيث يقول «دار الحاج أمحمد تتربع على مساحة شاسعة لذلك يطلقون عليها الدار الكبيرة يتقاسم سكناها عائلة الشيخ المكونة من الحاج أمحمد وأخوه البغدادي»[3]، وفي موضع آخر يقول الروائي «بالإضافة إلى غرف النوم والضيافة، هناك غرف مخصصة للمؤن من تمر وثوم وزيوت ودقيق. وفي الركن الآخر من الدار فرنان كبيران وكوانين تطبخ فيها الأطعمة في الأفراح والمأتم. ويتوسط الدار بهو واسع به شجرة كروم تظل المكان وعلى حافته نباتات النعناع»[4].

نجد أن المنازل الصحراوية تتميز بالاتساع والشساعة ومن اتساعها قد تتقاسم عائلتين هذا الاتساع مثلما وجدنا في دار الحاج أمحمد الدار الكبيرة، إنه الفضاء

1_فازع حسن المعاضيدي وباسم محمد عباس، بناء المكان الروائي في روايات صنع الله إبراهيم، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد6، 2012، ص 93.

2_إبراهيم جنداوي، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، دار تموزة، دمشق، ط1، 2012، ص 237.

3_الرواية، ص 57.

4_الرواية، ص 58.

الصحراوي بتسلط حتى على منازل أصحابه باتساعه بكثرة الغرف المتواجدة في الدار والمختلفة، منها غرف النوم والمؤن والضيافة والطبخ، كما أن كل دار لا تخلو من بهو تظلله الكروم والأشجار ونبات النعناع الذي يميز الفضاء الصحراوي يقول الروائي «الجانب الخلفي للدار عبارة عن مساحة غرست فيها بعض الأشجار المثمرة يصل طولها شرفات الطابق العلوي الأسوار المحيطة بها والمبنية من الطين عامرة بأعشاش عصافير لا تكف عن الصرصرة»[1]، ومن خلال هذا نجد أن حتى ما هو خارج الدار هو تابع لها بأشجاره وميزة هذه الدار أن أسوارها تكون مبنية بالطين البيت الصحراوي الذي لا يخلو من طبيعة هذا الفضاء.

ويتميز البيت الصحراوي في هندسته بتخلل أشعة الشمس في جميع أنحاءه بدون أن ينزعج منها أهل المنزل لأنها جزء منهم حتى وإن كانت حارقة لهم فهي ضوءهم قبل أن تكون محرقة لهم، إنه الفضاء الصحراوي ما يتميز به هو أشعة الشمس يقول الروائي «رفع الحاج أمحمد فنجان القهوة إلى فمه وهو يرمق زوجته التي كانت تحرك ملعقة السكر بحركة عقارب الساعة حجبت الشمس للحظة ثم انتشرت من جديد أشعتها تبلط أرضية الساحة وتغطي مائدة القهوة»[2].

تعتبر دار الحاج أمحمد أهم فضاء في الرواية لأنها كانت مرتعا للنساء وكانت محل إقامة للمناسبات وغيرها سواء بالفرح أو القرح يقول الراوي «كانت دار الحاج مرتعا لنساء الدشرة يترددن عليها من حين لآخر بمناسبة أو بغيرها»[3].

كما أنها دار للضيافة وعابري السبيل أي دار الكرم يقول الراوي «فهي دوما مفتوحة للضيوف وعابري السبيل من حجاج وطلبة وتجار»[4].

1_الرواية، ص 58.

2_الرواية، ص 22.

3_الرواية، ص 56.

4_الرواية، ص 58.

وأهم من هذا كله كان يجتمع فيها شيوخ القرية كانت مقرا لاتخاذ أهم القرارات المصيرية التي تخص أهل الدشرة يقول الروائي «اجتمع شيوخ الدشرة في دار الحاج أمحمد يتدارسون أمر فابيان وهناك أمور أخرى مدرجة في هذا الاجتماع»[1].

قد أسلم "فابيان" ونطق الشهادتين في دار الحاج أمحمد يقول الروائي «لم يستطع الطيب الصبر، رجع أدراجه ملحا على فابيان التوجه سويا نحو منزل الحاج أمحمد لأن الأمر لا يقبل الانتظار ولابد أن ينطق بالشهادتين»[2].

ويدخل فضاء الغرفة في هندسة فضاء المنزل حيث أن الغرفة هي «الغطاء للإنسان يدخلها ليرتدي جزءا آخر وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر وإذا ما اطمأن تماسكها بدأ بالتعري فيها، التعري الجسدي والفكري، لكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه، ويبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص»[3].

كما برزت الغرفة في رواية جذور وأجنحة لتكمل هندسة المنزل بطابعها الصحراوي، حيث أنّها تكون متزينة بالزرابي والصوف، كما تتميز هندسة الغرفة بدخول الشمس في كل أنحاءها يقول الروائي «ما أن تخطى الطيب عتبة الغرفة، حتى كادت نفس فابيان تتقطع وهو يدور بعينيه أنحاء الغرفة، إنها تحفة كانت غرفة الضيوف مفروشة بأنواع الزرابي وقد طرزت بصليب الجنوب، وسائد الصوف تزين المكان، أواني من نحاس تلمع وتزين الحائط، مائدة من الخشب منقوشة تذكر بالأزمنة البعيدة، رائحة العنبر تطبق على المكان»[4].

إنّها غرفة صحراوية وذلك من خلال الأواني والخشب المنقوش وصليب الجنوب ورائحة العنبر الذي هو رائحة تخص أهل الصحراء يقول الروائي «تفتح نافذة الغرفة

1_الرواية، ص 28.

2_الرواية، ص 108.

3_ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، د ط، 1986، ص 78.

4_الرواية، ص 32-33.

تتسلل من خلالها نسيم ندي يعيق بأريج الأشجار تقف برهة أمام النافذة تستنشق الهواء الصافي ثم ترنو بعينيها إلى السماء متأملة الصبح وهو يتنفس والظلمة وهي تنحسر»[1].

فضاء الغرفة هنا هو فضاء مغلق لكنه يطل على الفضاء المفتوح وهو الفضاء الصحراوي وذلك من خلال منظر السماء والأشجار التي تطل عبر النافذة وتسلل النسائم.

تميز فضاء المنزل في الرواية بفضاء للراحة والمناسبات الحزينة والمفرحة كما أنه مقرا لأهم الاجتماعات واتخاذ القرارات المصيرية للقرية وهذا لاتساعه.

***البرج**

هو فضاء مغلق أخذه "فابيان" كمسكن له بغرض مراقبة أهل القرية وتحركاتهم وذلك بطلب من الحكومة الفرنسية، حيث كان هذا البرج يطل على دشرة لحسن الطرهوني، لكن غاية فابيان كانت اكتشاف فضاء الصحراء يقول الروائي «توقفت العربة المحملة بأغراض فابيان أمام البرج المطل على دشرة لحسن الطرهوني والذي لا يبعد عنها إلا ببعض الأميال»[2].

كان البرج خال ومهجورا وفي حالة كارثية يقول الروائي «ألقى نظرة على المكان البرج خال وفي حالة كارثية ورث البهائم يملأ المكان تنبعث منه رائحة كريهة سرير خشبي وبقايا مكسرة مائدة خشبية مغبرة مجرفة شفرات حلاقة»[3].

البرج هو مركز حراسة لمراقبة الأهالي وإعداد التقارير حول ما يدور بالقرى أنه هو المسكن الجديد "لفابيان" وكان الانطباع الأول الذي أخذه "فابيان" عن الصحراء من خلال البرج.

1_الرواية، ص 48.

2_الرواية، ص 12.

3_الرواية، ص 12.

***المقهى**

إن المقهى كمكان مغلق ومؤقت يعد جزءا من الفضاء العام الذي يحتوي مجمل الكائنات الحية وغير الحية فهو المكان الاجتماعي وملتقى لقطاع واسع من الناس بمختلف الشرائح والطبقات لذا فالمقهى يأخذ قيمة الإبداع الأدبي[1].

الفضاء المقهى في رواية جذور وأجنحة كان متواجد في وسط السوق تسميته بمقهى أولاد سيدي موسى يذهب له أهل القرية وذلك لشرب الشاي وتبادل ما قد يجري في الدشرة من وقائع وأخبار يقول الروائي «اليوم يوم جمعة الحاج أمحمد في مقهى أولا سيدي موسى يرتشف الشاي على الحصير رفقة رجال الدشرة»[2]. وهذا الفضاء المغلق فضاء لسرد الحكايات والنوادر التي تقرأ من الكتب القديمة

يقول الروائي «عاد الحاج أمحمد بخطى متثاقلة إلى المقهى حيث ينتظره الرجال، سمع أصواتهم وضحكاتهم كان الطالب سي عبد الحفيظ يسرد عليهم النوادر والطرائف التي يقرأها من الكتب القديمة... ثم راح يقصى عليهم ما دار بينه وبين الحاكم»[3].

دلالة المقهى هنا هو أنها فضاء مغلق لكن كانت الملجأ الوحيد لأهل الصحراء للترفيه عن أنفسهم من خلال الاستماع لطرائف سي عبد الحفيظ وكذا كانت لتداول الأخبار وأهم الوقائع التي تجري في القرية.

***القطار**

هو من الفضاءات المغلقة المتحركة وهو وسيلة للتنقل والترحال يستخدمه عامة الناس ويستخدم للمسافات البعيدة والقريبة برز في رواية جذور وأجنحة كوسيلة لنقل فابيان

1_مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينه (حكايات بحار الدقل، المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2011، ص 67.

2_الرواية، ص 59.

3_الرواية، ص 69.

نحو الجنوب يقول الروائي «يقتطع تذكرة القطار المتجه نحو الجنوب بعد انتظار طويل يصل القطار»[1].

وأثناء هذه الرحلة نتعرف على أماكن وطرقات الصحراء يقول الروائي «ينطلق القطار بسرعة السلحفاة مدويا المكان بصخبه عبر النافذة تسبح عينا فابيان بعيدا في الأفق في الأشياء المتخلفة عن القطار... وقف أمام النافذة يرى العمائر والأشجار توقف القطار فوضى عارمة تجتاح المحطة»[2].

أخذ "فابيان" صورة أولى عن أهل الصحراء وهو ينظر لهم يقول الروائي «الركاب يهجمون والنازلون يتملصون محاولين الخروج من الفتحات المسدودة بتلك الأجساد. تفرق الركاب على مقاعد العربات يتحرك القطار بحمولته يتأمل فابيان في أفواههم بقايا شتائم غاضبة»[3].

استمر "فابيان" بالنظر إلى ما هو حوله باستغراب يقول الروائي «لأخرى كان عدد المسافرين يقل لا متسولين ولا باعة فقط طفل صغير ماسح أحذية يمشي بين صفي المقاعد متماسك ويخبط بالفرشاة على الصندوق ضربات متباعدة»[4].

كان "فابيان" ينظر لهم وهو آخذ صورة على أن العرب مخادعون وقاتلون وهمج وهذا ما يأخذه كل من هو بعيد عن الصحراء يعطيها صورة سيئة يقول الروائي «يكون مشغولا بتوجس داخلي منبعث من صور عديدة سمع بها ويحاول أن يبعدها عن ذهنه العرب بدون استثناء همج برابرة قتلة مخادعون»[5].

1_الرواية، ص 9.

2_الرواية، ص 10.

3_الرواية، ص 3.

4_الرواية، ص 11.

5_الرواية، ص 11.

دلالة فضاء القطار في الرواية هو أنه فضاء واسع يستخدمه عامة الناس وتسلط عليه أهل الصحراء بتنقلهم والصورة التي أخذها "فابيان" على أهل العرب الذين هم أهل الصحراء بأنهم مخادعون وقتلة وهمج الصورة الخاطئة التي يأخذها كل غريب عن الصحراء.

2-علاقة الفضاء الصحراوي بمكونات الرواية (الزمان، الشخصية واللغة)

العمل الروائي له مكونات يقوم عليها وهاته المكونات لها علاقة بالفضاء الصحراوي، من بين المكونات التي رأينا أن لها علاقة بالفضاء الصحرواي في رواية جذور وأجنحة هي الزمن، الشخصية واللغة حيث نجدها كالآتي:

2-1: علاقة الفضاء الصحراوي بالزمان

الزمان من بين الأبنية الذي يجعل البناء الروائي متكاملا، ويبدو أن الزمان مشتق معناه من الأَزْمَنَة بمعنى الإقامة؛ ((ومنه اشتقت الزمانة لأنها حادثة عنه. يقال: رجل زمِنٌ، وقوم زمْنى وتعني الإقامة: المكث والبقاء والبطء جميعا؛ فكأن الزمن في ألطف دلالته يحيل على معنى التراخي والتباطؤ))[1].

ولا يمكن الفصل بين الزمن والفضاء تقول حورية الظل في كتابها "الفضاء في الرواية العربية الجديدة" أي عمل أدبي يتسم بالصعوبة وتزداد هذه الصعوبة عمقا، حين تكون بصدد رواية ذات منحى شعري فضائي، تتطبع معالمها الزمنية من تضاريس فضائية، حيث نجدها تصف الأماكن والمناظر والأشياء والأحداث والانفعالات والشخصيات[2].

1_عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 200.

2_حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة "مخلوقات الأشواق الطائرة" لإدوارد الخراط نموذجا، ص 326.

فلم يعد الفضاء مجانيا في النص الروائي، ولم يعد يتلخص دوره في توقيف السرد، وإنما أصبح يسهم في بنائه لأن العلاقة بين الزمان والمكان علاقة تكامل فلا يمكن الفصل بينهما، إن علامات الزمان لا تمنح دلالاتها إلا في المكان والمكان لا يدرك إلا في سياق الزمان[1].

أي أنّ الزمن هو أحد أهم الركائز التي يستند إليها العمل السردي ((يرتبط السرد بالزمان ارتباطا وثيقا، إذا لا يوجد سر من دون زمن)).

وفي دراستنا هذه نجد أن الزمن له علاقة بالفضاء الصحراوي حيث نجد ما فيها من استباق واسترجاع لأحداث وقعت وعلى تأمل أن تقع لأن الاستباق بما يعنيه هو ((التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي))[2].

افتتح الروائي في روايته بالاستباق على ما قد يقع في الدشرة يقول الروائي «الفرانسيس راجعين للدشرة يا جماعة راني نقولها لكم ونعاود وراكم توقفو عليها»[3].

ودلالة هذا الاستباق هو أن الدشرة في أبهى صورة صحراوية صورها الروائي من مناظر جميلة وخلابة وأنها هادئة توحي بالطمأنينة لكن ما قد يجري هو عكس ذلك من طرف المستعمر الفرنسي من رجوعهم لها وتدميرها وتدمير أهاليها يقول الروائي «القرية مقبلة على مصيبة»[4].

فقد أقبلت حقا القرية على المصيبة التي توقعها الأهالي من الفرنسيين وتم تدمير القرية وموت العديد من الأهالي من بينهم الحاج أمحمد الذين تأملوا أن يعود بدون جرح

1_صباح كريم مولود، الفضاء الروائي في رواية الكرنك لنجيب محفوظ، مجلة جامعة تكريت العلوم الإنسانية، المجلد19، العدد10، تشرين الأول 2012، ص 240.

2_المرجع نفسه، ص 256.

3_الرواية، ص 29.

4_الرواية، ص 104.

ولا دما ينزف الرجل المحب لحرارة الشمس رغم شدتها والمتمسك بأرضه وبعالمه الفسيح الجنان الخضراء والذي قد صوره الروائي كالآتي: «بعد أسبوع سيعود الشهيد الحاج أمحمد محملا بآمال العودة بجرح لا ينزف دما، مجفف بحرارة الشمس معطر برائحة الأرض. مفرشا لهم عالم فسيحا من الجنان الخضراء كي تنتشر فيه ضحكات الأطفال ويناموا بهدوء في انتظار الغد»[1].

هذا القول هو أمل لرجوع كل شيء كما كان حتى وإن كانت الطبيعة قاسية من حرارة وجفاف ورجوع الجنان الخضراء ورجوع الهدوء الممزوج بضحكات الأطفال.

أمّا بالنسبة للاسترجاع ((هو مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة، وللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث ليدع النطاق لعملية الاسترجاع))[2]، وعند الغوص في رواية جذور وأجنحة نجد هاته العملية بارزة وذلك لسير أحداث الرواية وتطورها يقول الراوي «خرج فابيان في رحلة طويلة باتجاه الجنوب وقلبه يكاد ينفطر من الفرح، لقد كان قاب قوسين أو أدنى من الهلاك، إثر تعرضه لنيران صديقه في معركة التل الشرقي فاقد للوعي لأيام طويلة... تم تحويله إلى الصحراء»[3]، كان هذا أول استرجاع برز في الرواية ذلك الاسترجاع ما قد حدث "لفابيان" من وقائع مؤلمة في معركة التل الشرقي لكنه يذهب للصحراء للفضاء الواسع لمراقبة الأهالي والاستجمام بأشعة الشمس الدافئة.

وفي قول آخر للراوي «كانت رياح الخريف في تلك الصبيحة تأخذ فابيان بعيدا إلى اللورين، حيث تصنع الريح هناك ضوضاء مختلفة، تصفر في أسلاك الأعمدة وتحوم فوق مجاميع البيوت كان يروق له أن يتأمل حركتها، الصبح هناك أيضا مختلف ينبثق

1_الرواية، ص 120.

2_صباح كريم مولود، الفضاء الروائي في رواية الكرنك لنجيب محفوظ، ص 250.

3_الرواية، ص 8.

صافيا من أعالي الجبال، يشم رائحة الهواء الطلق... شيء من كل هذا يختفي فجأة في هذا الفضاء الفسيح في هذا الجزء من الصحراء لا ضوضاء، لا جلبة لا حركة»[1].

ففي هذا الاسترجاع يقوم الراوي على المكان الذي يعيش فيه "فابيان" ويتذكر منطقته التي كلها جلية وضوضاء وصار في الفضاء الصحراء الذي زاد تعلقه به الفضاء الفسيح لا ضوضاء ولا حركة وكل شيء يسلم للهدوء والسكينة.

يقول الروائي «تحيط بالولي الصالح سيدي لحسن الطرهوني حكايات وأساطير يتداولها سكان القرية، يقول بعضها أنه جاء من الشرق من بلاد بعيدة كان تاجرا نشيطا تدر عليه تجارته ربحا يكفيه ليعيل أسرته، غير أن المرض الذي أصابه فجأة أقعده الفراش وأربك تجارته، وقاده إلى الإفلاس، بعدما استنفد كل ماله، فباع أمامه والذي وراءه. ظل على تلك الحال فترة من الزمن»[2].

استرجع الروائي هنا حكاية شخصية الصالح سيدي لحسن كيف كان وكيف صار ضريح وكيف تداولت قصته من جيل إلى جيل ورغم اتساع فضاء الصحراء وكذا أصبح عادة من عادات أهل الصحراء زيارة هذا الضريح.

يعود بنا الراوي إلى سنة 1849 إلى سنة دمرت فيها الدشرة فرضت الضرائب وانتزعت الأراضي وهجر السكان وذلك من طرف الفرنسيين، أي هنا الراوي ينقل لنا وقائع وأحداث ما جرى ويصف كيف كانت الدشرة آنذاك وكيف أصبحت هذا لسير مجريات الرواية بدون نقائص، وكذا يذكرنا بما هو أهم كيف أصبحت الصحراء أو بالأحرى أن أصل الصحراء جميل وخلاب يقول الروائي «قال هذا الكلام وهو يعود بذاكرته إلى الأيام النحسات كما يسميها وتحديدا سنة 1849 بعد زيارة الدوق ديمال للمنطقة وتعيين القائد

1_الرواية، ص 11.

2_الرواية، ص 37.

العسكري توماس منذ ذلك الوقت لم ير سكان المنطقة خيرا فقد فرضت الضرائب وانتزعت الأراضي وهجر السكان وعذب الأبرياء»[1].

يقول الروائي «عبر نافذة البرج الصغير نسج عيناه بعيدا في الأفق يرفض أن يحسب بمرارة الغربة والوحشة ينكس بصره ثم يلقي به بحركة سريعة إلى ركن صخب المعارك التي عاشها في قلبه مشاهد الموت أنين المصابين... استرجع فابيان تلك اللحظات خانق القلب شردا، ثم عاد يستلبه عواء الذئاب من وراء النافذة يرى ظلام الصحراء»[2].

في هذا الاسترجاع تبين لنا ما عاشه "فابيان" واسترجاعه لصور الموت وصخب المعارك وقلقه كلما تذكر ذلك وأن الصحراء رغم وحدته واغترابه فيها إلا أنها أصبحت المكان المطمأن له وذلك حتى بظلامها أو بعواء ذئابها إنه الفضاء الواسع الهادئ أي أن ما قد ينسيه ما عاشه هو هذا الفضاء.

يقول الروائي «ما إنْ وصل حتى ارتمى فوق سريره يسترجع صورا من الزردة ويسجلها في كراسته... في تلك الليلة ذهبت لأستلقي على حصير تذوقت لذة عميقة حياة البداوة، الحياة العربية فرحت بكوني وحيدا مجهولا بين الطقوس والممارسات العربية وبمشاهدتي في سلام»[3].

هنا يسترجع "فابيان" كل ما حضره في عادة من عادات أهل الصحراء وهي الزردة في مجلس يتذوق حياة البداوة والحياة العربية، وأهل الصحراء لدرجة أنه يدون كل شيء من حياتهم وفي فضاءهم هذا يدل على أن الغريب بين أهل الصحراء ينسى غربته ويكون بينهم في سلام.

1_الرواية، ص 18-19.

2_الرواية، ص 27.

3_الرواية، ص 43.

تتجلى مهمة الزمن الروائي في خلق الإحساس بالمدة الزمنية الروائية والإيهام التام بأن ما يعرضه الروائي هو واقع حقيقي[1]، حيث كل ما تقدم من استباق واسترجاع ساعد في سير أحداث الرواية وتتابعها وتعاقبها، وفعلا نجد أن علاقة الفضاء بالزمان علاقة متكاملة حيث ما رأيناه في رواية جذور وأجنحة أن الفضاء الصحراوي فضاء واسع وهادئ جالب للهدوء والسكينة وهذا ما قد أحسه ووجده "فابيان" الشخصية المغتربة في وسط هذا الفضاء نجد أن الزمن يتدخل في تغير منحى الحياة بالثبات والتحول والزوال.

2-2: علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصية

إنّ المكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية إلا أنه لا يتبلور ولا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تشغله وتصنع الأحداث وتكشف عن أثر المكان بها وأثرها في هذا المكان، أي إن الشخصيات تضفي على المكان دلالات مجازية[2]، لأن الشخصية والمكان عنصران متزامنان إلى حد ما، ومع أن المكان دائما سابق في الوجود على الإنسان فإنهما في ملامحهما يبدوان شديدي التقارب والالتصاق[3].

ولابد لكل بيئة أو فضاء إنسان يتميز عن غيره فللصحراء إنسانها المتسم بسمات خاصة وأبعاد جسمانية واجتماعية ونفسية تجعله كائنا مغايرا للإنسان في أمكنة أخرى إنه مزيج من تناقضات الصحراء تسبغ عليه الصحراء من هدوئها ومن خطرها، من ليونتها وصلابتها ويبدو ذلك في نشاطه وطبيعته[4].

1_مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينه (حكايات بحار، الدقل المرفأ البعيد)، ص 229.

2_المرجع نفسه، ص 188.

3_مصطفى الضبع، إستراتيجية المكان في السرد العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 2018، ص 86.

4_المرجع نفسه، ص 121.

والعلاقة التي نشأت بين الفضاء الصحراوي والشخصيات هي علاقة تقارب وتلاحم وإعجاب بهذا الفضاء من بين الشخصيات التي قد وجدت في الرواية والتي لها علاقة بالفضاء الصحراوي كالآتي:

***فابيان**

تمثل "فابيان" في رواية جذور وأجنحة الشخصية الرئيسية غير ألوفة للفضاء الصحراوي حيث أنه جاء في خدمة الحكومة الفرنسية كعريف لمراقبة الأهالي لكن كانت نيته اكتشاف هذا الفضاء الواسع يقول الروائي «خرج فابيان في رحلة طويلة باتجاه الجنوب وقلبه من الفرح، لقد كان قاب أو أدنى الهلاك إثر تعرضه لنيران صديقة في معركة التل الشرق تم تحويله إلى الصحراء في برج مراقبة متقدم بعيد عن المعارك حيث أخبره بأن سيكون في رحلة اكتشاف واستجمام بشعة الشمس»[1].

كان "فابيان" قد أخذ فكرة على أنّ أهل الصحراء أنهم برابرة ومخادعون يقول الروائي «يكون مشغولا بتوجس داخلي منبعث من صور عديدة سمع بها ويحاول أن يبعدها العرب بدون استثناء هيج برابرة قتلة مخادعون»[2].

في بداية أمره لم يتقبل "فابيان" الفضاء الصحراوي ومساحته الخالية يقول الراوي «ليس من السهل عليه تقبل الوضع الجديد أن ينقل خطواته ونظراته عبر هذه المساحة الخالية إنها الصحراء»[3].

وذلك من خلال انطباعه الأول الذي أخذه من وضع البرج الذي قد يسكن فيه يقول الروائي «ألقى نظرة على المكان البرج خال وفي حالة كارثية ورث البهائم يملأ المكان

1_الرواية، ص 8.

2_الرواية، ص 11.

3_الرواية، ص 13.

تنبعث منه رائحة كريهة سرير خشبي وبقايا أشياء مرآة مكسرة مائدة خشبية صغيرة»[1]، هنا كان المكان مهجورا يرفض وحدته في هذا الفضاء وأصبح يتأقلم مع الوضع الجديد يقول الروائي «إنه يتأقلم مع الوضع الجديد، لقد اعتاد هناك أن يبقى وحيدا في بيته فيما تضرب العواصف والرعود البيوت يمكث وحيدا غير عابئ برعب الموت، أو بأية أشياء أخرى»[2].

أصبح عاشقا للصحراء وأشعة شمسها كان كل يوم يزداد تعلقه بهذا الفضاء ويزداد حبه لاكتشافها يقول الروائي «أشرقت الشمس بعذوبة وسقطت صغيرة حمراء بين ثنايا أشجار النخيل وعادت لتلقيها بعد أن غيرت وجهتها... لا يفوت فابيان هذا الديكور الطبيعي يصعد أعلى البرج ويرقب هذا الفضاء الشاسع الممتد ذا الجمال الخلاب كل يوم هو اكتشاف لهذا الجمال بالنسبة إليه»[3].

حتى أن وحدته تغلب عليها وذلك من خلال تقرب الطيب منه وصار يزوره كل مرة وكل زيارة كانت يحدثه عن الفضاء الصحراوي وعن أهلها ويقول الروائي «لقد وجد فابيان في شخص الطيب المؤنس الذي يملأ عليه وحدته، والصديق الذي يذهب عليه وحشته»[4].

كان في كل مرة يدون في كراسته حقيقة أحاسيسه اتجاه هذا الفضاء ومدى تأقلمه ومدى حب اكتشافه أكثر الفضاء المخالف لما كان يعيش فيه والمخالف لما كان يتصوره في ذهنه قبل زيارته يقول الروائي «أكتب من الصحراء أعيش الآن فيها بحكم عملي الصحراء ليست طبيعة مرهقة ووحشية عراك دائم مع طبيعتها القاسية لم يمض على

1_الرواية، ص 12.
2_الرواية، ص 25.
3_الرواية، ص 20.
4_الرواية، ص 31.

وجودي هنا الكثير لم أكن سعيدا من قبل ولكني أصبحت أشعر أن وجودي يجلب لي القيمة»[1].

هنا صرح "فابيان" بأن الصحراء في طبيعتها قاسية وموحشة لكن مع مرور الوقت تأقلم مع هاته القساوة.

كما أنه بدأ يتعرف على بيوت الصحراء وأهلها وذلك من خلال زيارته لها وينبهر بجمالها ويتعجب لعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم التي تمثل جذور الأهالي أي المورثات الثقافية والاجتماعية والدينية يقول الروائي «ما أن تخطى الطيب عتبة الغرفة حتى كادت نفس فابيان تتقطع وهو يدور بعينيه أنحاء الغرفة، إنها تحفة فنية كانت غرفة الضيوف مفروشة بأنواع الزرابي وقد طرزت بصليب الجنوب... استدار فابيان إلى الطيب مبديا إعجابه بهذا الديكور الجميل»[2].

وفي قول آخر على تعجب "فابيان" بالفضاء الصحراوي «متعجبا في الوقت نفسه من هذا المشهد مشهد الصحراء وكأن الماء يخدشها فيبلل معناها ازدحام الغيم وانسداد الشمس وغياب لفحتها»[3].

ومرة أخرى يعبر "فابيان" عن حبه للحياة الجديدة حياة البداوة الصحراوية يقول «هنا اكتشفت حبا غمرني بدأت بالدخول في حياة جديدة كنت أظن أنها لا تناسبني ولكني سأظل احتفظ بسرها»[4].

بعد مرور وقت وهو في هذا الفضاء وبعد تعلقه به إلا أنه أصبح واحد من أهله غير الملطخ بشوائب الحضارة الغربية، حيث أسلم وأعلن إسلامه بين أهالي الدشرة وكذا حين قرر أن يتزوج بابنة الحاج أمحمد يقول الروائي «لم يستطع الطيب الصبر، رجع

1_الرواية، ص 32.

2_الرواية، ص 33.

3_الرواية، ص 44.

4_الرواية، ص 47.

أدراجه ملحا على فابيان التوجه سويا نحو منزل الحاج أمحمد لأن الأمر لا يقبل الانتظار ولا بد أن ينطق بالشهادتين كدليل صحة نيته»[1].

بعد أن أسلم "فابيان" طلب يد الضاوية لتكون حياته بين أهالي الصحراء قال الراوي «بعد انصراف الجميع تقدم فابيان رفقة مترجمه الطيب إلى الحاج طالبا يد الضاوية تفاجأ الحاج بهذا الطلب»[2].

بعد أن أصبح من أحد الأهالي وبعد أن تعلق بالدشرة وكل ما يدور بها، إلا أنها تدمرت، فغمره الحزن عليها يقول الروائي «وقف فابيان ينظر إلى الدشرة وهي تحمر قد حجبتها أشجار النخيل ممسكا بلجام الحصان غمره الحزن حزن لا يريد أن يتخلى عنه»[3].

الشخصية "فابيان" شخصية البطل كانت علاقتها بالفضاء الصحراوي علاقة تزداد محبة وتألق في كل مرة لهذا الفضاء الجميل الواسع وحبا لاكتشافه ومعرفته ومقاوما ورافضا كل أشكال الذل والإهانة مشاركا معهم في مقاومة المحتل.

***الطيب**

شخصية الطيب من بين الشخصيات المثقفة والذي درس اللغة الفرنسية، لكنه لم ينسى أرضه أرض الصحراء يقول الروائي «كان الطيب قد تعلم الفرنسية بحكم دراسته بإحدى المدارس الفرنسية بالمدينة، وعمل فترة مرشدا سياحيا بأحد الفنادق المشهورة بالمدينة، غير أنه عاد إلى الدشرة للعمل بأرض والده بعد وفاته»[4].

1_الرواية، ص 108.

2_الرواية، ص 108.

3_الرواية، ص 118.

4_الرواية، ص 29.

هنا تعلمه اللغة الفرنسية لم يجعله ينسى فضاء الصحراء الذي هو أصله يقول الروائي «توجه الطيب تلقاء البرج حاملا معه طبقات رطب المنقر ولبن الماعز»[1].

كان الطيب الشخص الوحيد الذي يكون وسيلة تواصل بين "فابيان" وأهل القرية كما أننا نلتمس كرم أهل الصحراء بأغلى ما لديهم وهو تمرهم "المنقر" والذي هو جزء من مركب الفضاء الصحراوي وهذا للترحيب "بفابيان".

يقول الروائي «حاول فابيان في كل مرة يحدثه فيها الطيب عن الحياة الصحراوية عن العادات والتقاليد أن يتصور هذا المجهول»[2]، هنا الطيب يفتخر بعادات وتقاليد أهل الصحراء ويطلعه عن الفضاء المجهول الفضاء الصحراوي وكان ذلك في كل لقاء.

بعد عدة لقاءات بين الطيب "وفابيان" إلا أن الطيب أصر على "فابيان" أن يعرفه على الدشرة على هذا الفضاء المفتوح أي أن ينظر له لا أن يسمع ويتخيل فقط يقول الروائي «قبل أخيرا فابيان دعوة الطيب لزيارة الدشرة والتعرف على أهلها عن قرب»[3].

بعد كل هذا أصبح الطيب الصديق الوحيد "لفابيان" ومؤنسه في وحدته في هذا الفضاء الواسع وما زاد هاته الصداقة قوة هي أسلام "فابيان" مما زادت فرحة الطيب يقول الروائي «لم يستطع الطيب الصبر رجع أدراجه ملحا على "فابيان" التوجه سويا نحو منزل الحاج أمحمد لأن الأمر لا يقبل الانتظار ولابد أن ينطق بالشهادتين»[4].

كان الطيب في رواية جذور وأجنحة شخصية المساعدة لشخصية "فابيان" وهذا لقدرته التواصلية معه أي تعلمه اللغة الفرنسية، كما أنه الصديق الوحيد له؛ عرفه بالفضاء الصحراوي وعادات وتقاليد أهله وذلك لرفعة أخلاقه والفخر بفضائه.

1_الرواية، ص 29.

2_الرواية، ص 31.

3_الرواية، ص 32.

4_الرواية، ص 108.

***الحاج أمحمد**

من بين الشخصيات التي برزت بكثرة في الرواية وكان بروزها للدشرة حيث كان الحاج أمحمد يساهم في شؤون قرية لحسن الطرهوني سواء داخل القرية وبين أهاليها أو بين القرية والحكومة الفرنسية، حيث أنه برز بشخصية محافظة تمثل أهل الصحراء ومحبة لوطنها ومتمسكة به يقول الروائي «عاد الحاج أمحمد من صلاة الصبح استلقى على حصيرة في بهو المنزل»[1]، هنا يدل على أنه متمسك بدينه الإسلام دين أهل الصحراء يقول الروائي «لم يجرؤ أحد منذ أن عرفوا بوصوله من الاقتراب من البرج بتوصية من الحاج أمحمد»[2]، هنا يدل على أن الحاج أمحمد من أهم مشايخ القرية والكل يمشي على كلمته لما فيها من حكمة كما أنه المسئول عن قرية لحسن الطرهوني وعلى كل مشكلة تجري هناك حتى وإن كانت بين الأهالي والحاكم الفرنسي يقول الروائي «أنا غدوة نروح نشوف الحاكم هذا قالها الحاج بعد انصراف القايد»[3].

وفي قول آخر للروائي «ظل الحاج ينتظر قدوم الحاكم لساعات وحينما عرف بوصوله استأذن سكرتيره بالدخول... فهم الحاكم بالكاد مراد الحاج»[4]، كان الحاج أمحمد يحب هذا الفضاء الصحراوي وطنه ولا يتحمل وجود الغريب ينهب ويأخذ ما يريد إنه ظلم لهم يقول الروائي «تململ الحاج في مجلسه متوثبا واش يحوسو هذو الكلاب لبروصيات ونسلكو فيها دراهم وحياة أولادنا»[5].

كان من الشخصيات التي دافعت على حقوق أهل الدشرة أهل هذا الفضاء بدون تردد رافضا الممارسات الاستعمارية بكل أبعادها يقول الروائي «أدخل الحاج أمحمد

1_الرواية، ص 18.

2_الرواية، ص 29.

3_الرواية، ص 62-63.

4_الرواية، ص 68.

5_الرواية، ص 96.

مصباحا نفطيا داخل الغرفة في الطابق العلوي... وإذا بمسدس 7,63 ملم من صنع ألماني اشتراه الحاج»[1]، هنا الحاج أمحمد لم يخاف ولا لي لحظة من الحكومة الفرنسية ورد عليهم بكل قواه قال الروائي «اتفوه عليك يا واحد الكلب... يا قواد لفرانسيس كانك راجل جرب سعدك... حاول أن يصفع الحاج غير أن الحاج عقد ذراعه حول عنقه فخنقه، عقف في أول الأمر قبضة يده فكف عن الصراخ»[2].

وظل يقاتل حتى قتل الحاج أمحمد وأصبح شهيدا مات لأجل وطنه مات بكل فخرا وهو يدافع على أرضه الصحراء يقول الروائي «توقفت طلقات النارية راح الأهالي يتفقدون ذويهم وسط العويل والبكاء لقد أحصوا في ذلك اليوم المروع سبعة شهداء هم: الحاج أمحمد...»[3].

علاقة هاته الشخصية بالفضاء الصحراوي هي حبها لهذا الوطن وفخرها به وإعطائها النفس والنفيس لها لكي تبقي لأهلها بجمالها واتساعها وبنخيلها وتمرها.

***الضاوية**

الشخصية المتأقلمة مع الفضاء الصحراوي من قساوة الطبيعة وحرارة شمسه وتقلبات رماله منذ صغر سنها، شخصية فقدت والديها منذ الصغر في هذا الفضاء الواسع وذلك بسبب العواصف التي قد جاءت وتكفل بها الحاج أمحمد وأصبحت واحدة من أهالي الصحراء يقول الراوي «كانت الضاوية التي عرف اسمها من الوثائق التي يحوزها الحاج Marie Claire Corbeau قد جاءت إلى هذه الدنيا من أبوين فرنسيين شديدي التدين، بعد رحلة قادتهما إلى الجزائر... سافرت رفقة أبويها باتجاه الجنوب في مهمة»[4].

1_الرواية، ص 105.

2_الرواية، ص 111.

3_الرواية، ص 113.

4_الرواية، ص 88.

وفي هاته الرحلة وبسبب تقلبات العواصف الفضاء الصحراوي أفسد الرحلة يقول الراوي «انطلقت عائلة Corbeau باتجاه الجنوب في رحلة عبر القطار ومن ثم على عربة يجرها حصانان غير أن العواصف الرملية أفسدت الرحلة وغيرت مسارها لتجد الأسرة نفسها وقد تاهت وسط الصحراء ولم تستطع أن تتبين طريقها، فهلكت من شدة العطش ولفحات الشمس»[1].

هنا تبين لنا أن الفضاء الصحراوي متقلبا في جوه وعواصفه الرملية قاسية وكذا حرارة شمسه ولا يتحملها إلا سكانها ولحسن حظ هاته الفتاة الصغيرة التي بقيت على قيد الحياة أن قافلة الحجيج مرت من هناك يقول الروائي «قافلة الحجيج العائدة من الحجاز مرت من هناك وكان فيها الحاج أمحمد الذي تكفل بها»[2]، تكفل بها الحاج أمحمد وسماها على والدته وهذا الاسم نجد عند أهل الصحراء وراجع لضوء الشمس يقول الروائي «هو الذي اختصر اسمها إلى الضاوية Clakre على اسم والدته»[3].

تعلقت بما يدور بها من عادات وتقاليد أهل الصحراء وبوالديها بالأخص يقول الروائي «كانت الضاوية تترقب بلهفة وقلق عودة الحاج من العمل تطير فرحا بمجرد دخوله المنزل يقضيان المساء في اللعب وسرد الحكايات التي لا تنتهي، كان تعلق الضاوية بأمها كبيرا تتبعها كظلها»[4].

يقول الروائي «تحمزي فيا ببيوضتك كي شفتيني كحلوشة استناي نجيك يا واحد الحلوفة لا تفهم الضاوية شيئا مما تقوله أمها»[5]، هنا أكد لنا الراوي أن بشرة أهل الصحراء متماثلة كلها تميل إلى السمرة غير الأجانب البيض وهذا ما يميزهم عن غيرهم عند

1_الرواية، ص 89.
2_الرواية، ص 89.
3_الرواية، ص 89.
4_الرواية، ص 54.
5_الرواية، ص 55.

رؤيتهم يقول الروائي «يرسم صورة الضاوية يتأمل عينيها الخضراوين ويديها البيضاوين لم تكن بشرتها تشبه المرأتين الأخرتين»[1].

أي أن شكل أهل الصحراء خاص بهم وأن الضاوية تختلف عنهم في كل شيء إلا أن طباعهم مثلها لأنها تربت في الفضاء الصحراوي وبعد كبرها تزوجت "بفابيان" الأجنبي وكأن شيء جذبها له يقول الروائي «بعد انصراف الجميع تقدم فابيان رفقة مترجمه الطيب إلى الحاج طالبا يد الضاوية»[2].

هنا الفضاء الصحراوي تدخل بقساوته وبقساوة عواصفه الرملية في تغير قدر الضاوية التي تأقلمت مع هذا الفضاء منذ صغر سنها وأخذت طباع أهل الصحراء وأصبحت من سكانه.

***نوة**

الشخصية نوة رمز المرأة المناضلة من أجل الحياة ورمز للمرأة الصحراوية رغم قساوة طبيعة الصحراء إلا أنها تكافح يقول الروائي «الخالة نوة نموذج للمرأة النشيطة المكافحة لقد تحملت مسؤولياتها بعد وفاة زوجها رفضت إعادة الزواج حتى تتفرغ لتربية أبنائها الثلاثة»[3]، التحمل والصبر من سمات أهل الصحراء على مقاسي الحياة وليس طبيعة فقط يقول الروائي «تنهض مع صيحات الديوك الأولى تؤدي صلاة الفجر، تحلب العنزة تكنس بيتها ترشه تطهو الكسرة وقهوة الصباح»[4]، هنا الراوي يصف لنا كيف هي معيشة البداوة الصحراوية ببساطتها.

1_الرواية، ص 52.

2_الرواية، ص 108.

3_الرواية، ص 87.

4_الرواية، ص 87.

إلا أن هذه المرأة تكافح داخل وخارج المنزل في فضاء الصحراء فضاء البستان يقول الروائي «توقظ مسعود يسرج هذا الأخير الدابة ويتجهان معا إلى البستان الذي تركه لها زوجها ولا يعودان منه إلا عند الظهيرة»[1].

دلالة هذه الشخصية على التمسك بالحياة حتى وإن كانت البيئة قاسية مثل ما هو الفضاء الصحراوي.

من خلال الشخصيات التي أخذت من رواية جذور وأجنحة رأينا أن العلاقة هي علاقة تجذر بين الشخصية والفضاء الصحراوي حيث أن الشخصية غير المألوفة مثل "شخصية فابيان" تتأقلم مع هذا الفضاء رغم خلائه واتساعه وقساوة طبيعته وقد تكون مصدر لجذبه ليسكن فيها وذلك لجمالها وجمال ضوء شمسها ولياليها الهادئة الجالبة للسكون والطمأنينة.

بينما الشخصية المألوفة مثل نوة، الطيب والحاج وغيرهم فهم من سكان هذا الفضاء الصحراوي وجذورهم تنبثق من هذا الفضاء، لا يقلقون من قساوته ولا عواصفه الرملية ولا حرارته كما أنهم يتميزون ببساطة الحياة متمسكين بأرضهم لأنها مصدر قوتهم مدافعين عنها بكل ما يملكون من مال وأبناء.

2-3: علاقة الفضاء الصحراوي باللغة

اللغة نسق من الإشارات والرموز، يشكل أداة في المعرفة، وفي حفظ واستعادة منتجات الثقافة الروحية وبواسطة اللغة يتبادل الناس خبراتهم ومهاراتهم وأفكارهم وانفعالاتهم وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطا وثيقا، فأفكار الإنسان تصاغ دوما في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني[2].

1_الرواية، ص 87.

2_محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2011، ص 135.

وتمثل اللغة في هذا الإطار العامل الأساسي في الكيان الاجتماعي للفرد فهي تتحول إلى راية يدخل تحتها الفرد منتميا إلى جماعة بعينها يقول د. الجوهري "اللغة بالنسبة إلى الفرد هي بطاقة الهوية الدالة على انتمائه إلى تلك الجماعة أو هي العلامة التي تحدد هويته لنفسه وللآخرين[1].

وفي دراستنا لعلاقة الفضاء الصحراوي باللغة في رواية جذور وأجنحة درسنا الفضاء الصحراوي ولغة الحوار التي تدور بين شخصيات الرواية "حيث تكون لغة الحوار لدى كثير من الدعاة إلى العامية وخصوصا إذا كانت الشخصية أمية التماسا لواقعيتها وكأن هذه الشخصية مسجلة في الحالة المدنية، وكأن الأحداث التي تنهض بها أو تقع عليها هي أحداث تاريخية بالفعل"[2].

وهذا ما وجد في الرواية دمج بين اللغة العربية الفصيحة التي هي قريبة من لغة الصحراء واللغة الثانية هي اللغة الدارجة أي اللهجة المحلية. وهي حيلة تستخدم من قبل الكاتب اذي يمارس سلطته على شخوص الرواية، كما أن الدارجة أو العامية أقرب وأنسب لتصوير الحياة البدوية برز هذا في العديد من صفحات الرواية كالآتي:

«إيه إيه جلول المهبول المسكين، دايما هذا الكلام في فمو النخلة يبست الدودة كلاها بصح العروق مازالو حيين»[3]، هذا يعتبر مثل ويقال إلا في الفضاء لأن النخلة تتلائم وتكون إلا في هذا الفضاء الواسع حيث أصلها والتي عروقها تسري إلا في أرض الصحراء أي أن كلمة نخلة مفردة من مفردات الفضاء الصحراوي وجزء من تركيبته.

1_مصطفى الضبع، إستراتيجية المكان دراسة جماليات المكان في السرد العربي، ص 91.

2_عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنية السرد، ص 135.

3_الرواية، ص 19.

وفي قول الروائي «واش رايكم في وعدة سيدي لحسن؟... راهي قربت بلاك ربي يجري ببراكتو السواقي»[1]، كلمة السواقي هنا تقال عند أهالي الصحراء وهي عبارة عن مجاري المياه التي تتواجد في الغابات الصحراوية وعلى قول الكاتب هنا أن السواقي في جفاف حيث أن الجفاف ميزة من الفضاء الصحراوي، لكن باعتقاد الأهالي أن بعد وعدة سيدي لحسن تجري المياه في السواقي.

يقول الروائي «داوي داوي يا سيدي لحسن آبرهانك قاوي يا سيدي لحسن آ... بخور وجاوي يا سيدي لحسن آ... بينما يرد آخرون: جيناك زيار قاصدين الدار حل الباب الشرقي»[2]، جاءت هذه الأغنية باللغة العامية تقال أثناء وعدة سيدي لحسن وهي عادة من عادتهم وتقاليدهم، وكلمة جيناك زيار قاصدين الدار حل الباب الشرقي دليل على شساعة المكان وامتداده وأن له أكثر من باب وأن منازل الصحراوية واسعة.

وفي مواضع أخرى دلالة على أن الحوار الذي يدور بين الشخصيات في الرواية هو تلاؤمها مع الوسط الصحراوي والمشكلات التي قد تدور فيه سواء كان ذلك من الطبيعة أو من المستعمر الفرنسي أو من خلال أهالي الصحراء فيما بينهم بالذات.

يقول الروائي «ياو فاقو من وكتاش فرانسا تخمم علينا»[3]، هنا دليل على أن الفضاء الصحراوي لا يخدمه إلا أهله وأن فرنسا ما هي إلا بوعود كاذبة فهي للأهالي مدمرة وليست بانية وأن لا يوجد أمل إلا في الله بأخذ حقوقهم واسترجاع ما أخذ منهم يقول الروائي «واش يحوسو هذو الكلاب لبروصيات ونسلكو فيها يشوفنا فيهم ربي نهار عديان الله»[4].

1_الرواية، ص 28.

2_الرواية، ص 41.

3_الرواية، ص 99.

4_الرواية، ص 97.

من خلال هذا نجد أن الفضاء الصحراوي يسهم حتى في اللغة وأن المكان له ميزة تفرقة عن مكان آخر مثل ما تميز به أهل الصحراء سواء من خلال كلمات تدل على هذا الفضاء أو طريقة اللغة بذاتها، كما أننا نجد أن هناك الدقة والبساطة في متن الرواية من خلال اختيار الروائي سليم بتقة للغة التي تتلاءم مع الشخصية والأحداث وكذا البيئة الصحراوية.

3-الفضاء الصحراوي بين الواقعي والعجائبي

يتراوح الأدب بين الواقعي والعجائبي، ونقف هنا عند الفضاء الصحراوي بين الواقعية والعجائبية في رواية جذور وأجنحة لنرى ما جاء فيها من واقع وعجيب. نجد كالآتي:

3-1: الفضاء الواقعي

يراوح الفضاء ذو المرجعية الواقعية بين الانفتاح والانغلاق... أما الرواية الجديدة فإنها نتيجة اعتمادها طريقة خاصة في القول تمكنها من التعبير عن الواقع من خلال وسائط جمالية خاصة تخضع لرؤية الكاتب الجمالية الفكرية، فالطرق الكتابية لتصوير الفضاء هي التي تحيل على دلالته وتحمل قصدا ومعنى وليس الفضاء في حد ذاته فأصبحت تصور الفضاء ذا المرجعية الواقعية أو الفضاء المحيط في معظم الأحيان على ما تراه شخصية من الشخوص، أو يراه الراوي كما يتجلى ذلك في آثار أدبية مختلفة أشد ما يكون الاختلاف[1].

1_حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة "مخلوقات الأشواق الطائرة" لإدوارد الخراط نموذجا، ص 81.

حيث أننا نجد المكان الواقعي هو المكان المطابق للواقع ولا أثر فيه للرسم الخيالي ولهذا النوع من الأمكنة أهمية كبيرة حتى عده إبراهيم جنداري السمة الأهم التي تهب الرواية وأحداثها طابعا خاصا وتفردا متميزا[1].

والمكان الواقعي الذي قد صوره الراوي سليم بتقة في رواية جذور وأجنحة هي واقعية الفضاء الصحراوي وكيفية تقبل "فابيان" ومعايشته لهذا الفضاء حيث أننا نجد أن "فابيان" تقبل طبيعة الصحراء من قساوة ووحشية وأصبح هذا جزءا منه يقول الراوي «أكتب من الصحراء أعيش الآن فيها بحكم عملي الصحراء ليست طبيعة مرهقة ووحشية عراك دائم مع طبيعتها القاسية لم يمض على وجودي هنا الكثير لم أكن سعيدا من قبل ولكني أصبحت أشعر أن وجودي يجلب لي القيمة»[2].

أصبح وكأنه معتاد أن ينظر إلى هذا الفضاء وذلك لتأقلمه وتقبل واقعه يقول الروائي «لم يستطع النوم تلك الليلة نهض وصعد سطح البرج كل شيء حالك في هذه الصحراء وكأنها في الليل لا وجود لها الصحراء نشيد بالليل عواء الذئاب الذي لا ينقطع أهازيج أهل الليل رغاء الجمال الكل يتحدى الكل»[3].

درجة تقبله لواقعه وصل إلى أنه أحب هذا الفضاء الواسع بما فيه وبدأ حياة جديدة كان يظن أنها لن تناسبه يقول الروائي «ظللت أبحث عن أمل مجنون يوصلني إلى السعادة لقد أراد لي القدر أن أكون هنا ربما سعي للبحث عن شيء لم أستطيع تحديده هنا اكتشفت حبا غمرني بدأت بالدخول في حياة جديدة كنت أظن أنها لا تناسبني»[4].

1_أحمد مجيد البصام، ثنائيات المكان الروائي وأثرها في عتبة الرواية العراقية–مقاربة سيميائية، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفه، العدد56، 2020، ص 488.

2_الرواية، ص 32.

3_الرواية، ص 43.

4_الرواية، ص 47.

كما أنه يرى واقعية ما يعيشه أهل الصحراء من ظلم واحتقار من طرف الفرنسيين يقول الروائي «كان فابيان يراقب تحرك الجندرمة لقد رأى بأم عينيه كيف أطلقوا الرصاص الحي على جلول المهبول وأردوه قتيلا عند مدخل الدشرة حينما اعترض طريقهم»[1].

الفضاء الصحراوي فضاء واقعي يتقبله ويتأقلم معه من عايشه وعايش قساوته وليونته ومنظره واتساعه ليس من سمع عنه فقط وهذا ما قد وجدته في رواية جذور وأجنحة.

3-2: الفضاء العجائبي

هو الفضاء المصطنع من خيال السارد مع إبراز الجوانب فوق الطبيعية بداخله فهو ليس خياليا محضا كباقي الأماكن المتخيلة أو المرجعية التي يضاف إليها بعض الخيال، إنها مزيج من تداخل الخيالي مع الخرافي، ولذلك يفارق كل الأبعاد المرجعية، إنه بمتاح من الخيال أقصى درجاته ولا ينبغي أن يكون أي حيز أخصب ولا أشسع مساحة ولا أرحب مدى، ولا أبعد أفقا من الحيز الجغرافي الذي لا نجد له حدا فهو نتاج أصيل للخيال الشرقي الخصب العجيب معا.

ويقترب سعيد يقطين من تحديد ملامح هذا الفضاء بقوله: «إن هذه الفضاءات العجائبية بوجه عام تتجسد هنالك (البعيد) أي بعيدا عن الفضاءات المرجعية المركزية، وغالبا ما تكون متفردة وسط الخراب»[2].

والصحراء بوصفها فضاء غير معتاد لمن لا يسكونها مكان عجيب إذ يضم كثيرا من الظواهر التي تجعل منها أرضا خصبة للعجائبي الذي لا يتوقف عند ملامحها

1_الرواية، ص 110.

2_نبيل حمدي عبد المقصود الشاهد، العجائبي في السرد العربي القديم (مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجا)، دار الوراق، عمان، ط1، 2012، ص 297.

التضاريسية المشكل لجغرافيتها المبهرة وإنما يتعداها إلى أشياء المكان التي تبدو صغيرة لا قيمة لها[1].

فالفضاء الصحراوي في رواية جذور وأجنحة وما أخذته من عجائبية هو الشخصية غير المألوفة للفضاء الصحراوي والتعجب بهذا الفضاء بجماله واتساعه ومناظره الخلابة وأشعة شمسه، الشخصية فابيان المنبهر بهذا الفضاء العجائبي وقد تعجب لهذا الفضاء لأنه لم يراه من قبل بل كان يسمع عليه فقط لم يكن يتصور أنه بالعجائبية التي قد اكتشفها.

قبل ذكر شخصية "فابيان" الذي قد تعايش مع هذا الفضاء والتعجب له نذكر من لم يتعايش معه، كتب عنه ولم يعرفه يقول الراوي «عاد إلى الداخل أخذ الجريدة وبدأ يتصفحها لم يثر انتباه صاحب المقال في هذه البلاد غير الشمس والرمال الذهبية المناظر الطبيعية الخلابة وكأن المنطقة مجتمع خال من الحياة فلا وجود لذلك الإنسان المسحوق المطرود... بل كل شيء يوحي بالاستقرار: ها هو الجنوب يتألق تحت شمس الظهيرة»[2]، صاحب المقال هنا كتب متعجبا للصحراء لكن ليس مثل من عايشها مثل "فابيان" فلقد رآها بكل تقلباتها وحقيقتها ووجد ما يكتب ليس مثل ما هو قد يراه الإنسان.

أما بالنسبة إلى ما قد انجذب إليه "فابيان" وتعجب له نجد قول الروائي «في الصباح تبتسم الصحراء في وجه الشمس وهي تصعد مختالة بالشعاع ترمي عباءتها فوق بساتين النخيل سحب خفيفة عابرة عند الظهيرة وفي المساء يمر الغمام فوق صدر الصحراء العريض بأحماله الثقيلة يتوقف عند القرية ليتخلص منها... متعجبا في الوقت

1_مصطفى الضبع، إستراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، ص 123.
2_الرواية، ص 66.

نفسه من هذا المشهد مشهد الصحراء وكأن الماء يخدشها فيبلل معناها ازدحام الغيم وانسداد الشمس وغياب لفحتها»[1].

هنا كان تعجب "فابيان" بفضاء الصحراء بارزا بكل كلماته معبرا لما يراه في هذا الفضاء المفتوح يقول الروائي «ما أن تخطى الطيب عتبة الغرفة حتى كادت نفس فابيان تتقطع وهو يدور بعينيه أنحاء الغرفة إنها تحفة كانت غرفة الضيوف مفروشة بأنواع الزرابي وقد طرزت بصليب الجنوب وسائد الصوف تزين المكان...»[2].

1_الرواية، ص 44.

2_الرواية، ص 33.

الخاتمة

الخـاتمة

من خلال دراسة سلطة الفضاء الصحراوي في رواية جذور وأجنحة توصلت إلى مجموعة من النتائج هي:

-جاء الفضاء في مفهومه بعدة عبارات إلا أن كلها تصب في معنى واحد وهو الخلاء والفراغ والاتساع.

-تتجلى هندسة الفضاء الصحراوي في الرواية من خلال ما احتوى عليه المتن من فضاءات مفتوحة ومغلقة، هندسة واقعية ذا جمال خلاب كسكون الليل وطمأنينة السكون المطلق ونخيلها وكذا الحر الشديد والبرد الشديد.

-علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصية علاقة تجذر في هيئتها وطبيعة علاقتها الاجتماعية وسلوكها ونمط حياتها، بينما الشخصية غير المألوفة جاءت علاقة تأقلم وتعايش مع هذا الفضاء الواسع.

-الفضاء وعلاقته بالزمن هي علاقة تعاقب وتحرك الأحداث سواء كان ذلك استباقا أو استرجاعا، حيث أن الزمن جاء ما بين التحول والثبات والحياة والموت.

-علاقة الفضاء الصحراوي باللغة هي علاقة جذب، فالفضاء الصحراوي يتميز باللغة القريبة من اللغة الفصيحة وهي اللغة المحلية السحرية في عاميتها.

-الفضاء الصحراوي ما بين الواقعي والعجائبي هو أن الفضاء الواقعي معبر عن واقعية الصحراء بكل تفاصيلها وأجزائها الصغيرة، وطبيعة تقبل الشخصية غير المألوفة هاته الواقعية الممزوجة بالسحر والجمال والانبهار بالصحراء.

الملاحق

1-ملخص سيرة ذاتية

الأستاذ الدكتور سليم بتقة أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد خيضر، مسؤول ميدان التكوين بقسم اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع بسكرة. عضو اللجنة العلمية للمنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي. عضو لجنة قراءة وتحكيم في مجلات علمية محكمة. رئيس مشروع "التعدد اللغوي في الخطاب الروائي الجزائري "قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، عضو سابقا وحدة بحث بعنوان: التفاعل بين الأدب الجزائري والفنون الأخرى، برئاسة الدكتور لعلى سعادة.

كاتب له في الرواية والقصة والمسرح، وهي:

-جذور وأجنحة (رواية)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة 2014.

-التيرانسوروس الأخير (مسرحية من ثلاثة فصول)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة 2016.

-بؤس بلاد القبائل لألبير كامي (كتاب مترجم)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر 2016.

-أحلام تحت الصفر (مجموعة قصصية)، دار الجائزة للطباعة والنشر، القبة، الجزائر 2017.

-كونفينيس (مجموعة قصصية)، تحت الطبع، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر 2020.

-وقع الأحذية المتعبة (مسرحية من خمس فصول)، دار المجدد، سطيف 2020.

-قداس الكاردينال (رواية)، دار خيال للنشر والتوزيع، برج بوعريريج 2022.

وله أعمال أكاديمية منشورة منها:

-الريف في الرواية الجزائرية، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2010.

-أوراق بحثية في النقد والأدب، دار الأمل لطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو 2014.

-ترييف السرد الروائي الجزائري، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2014.

-البعد الأيديولوجي في رواية الحريق محمد ديب، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، 2014.

-بؤس بلاد القبائل لألبير كامي (كتاب مترجم)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر 2016.

-ترأس تحري المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، وهي مجلة علمية محكمة، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

2-ملخص الرواية

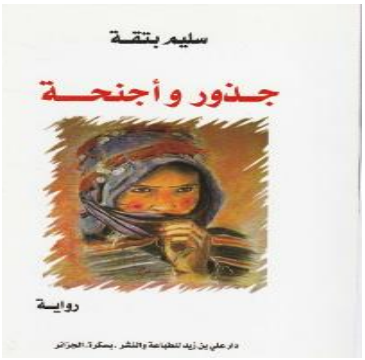

عن دار بن علي زيد للطباعة والنشر ببسكرة

صدرت رواية "جذور وأجنحة" لـ سليم بتقة تدور أحداث الرواية في أواخر القرن التاسع عشر إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر بإحدى قرى الجنوب الجزائري.

بطل الرواية "فابيان fabien" العريف الفرنسي الذي أرسل إلى برج مراقبة متقدم في مهمة استطلاعية متشبعا بالأفكار الاستعمارية والصور التنميطية المسبقة عن الأهالي حيث يعيش داخل البرج المطل على الدشرة حياة تائهة، غير مستقرة، تؤرقها أزمة تعاطي مع أولئك الأهالي الذين توجسوا من تواجده. تسارع الأحداث يجعل "فابيان "يتأثر بحياة الأهالي بدءا من إعجابه الشديد بالفضاء (الصحراء) وصولا إلى العادات والتقاليد والأعراف والتي تمثل جذور الأهالي أي الموروثات الثقافية والاجتماعية والدينية... الخ للمجتمع، المعين الصافي وغير الملطخ بشوائب الحضارة الغربية التي حاول الاستعمار القضاء عليها. وبمجرد وقوع ذلك الاحتكاك أصبح التعاطي معهم إيجابيا بعيدا عن تلك الصور التنميطية المسبقة. في خضم تلك الأحداث يضع القدر فجأة "فابيان" في طريق قصة حب مع الضاوية والتي لم تكن سوى claire ذات الأصل الفرنسي والتي تربت بين الأهالي وأصبحت واحدة منهم. هذه العلاقة تدفعه لنسج أحلام جديدة... في المقابل كان " فابيان" يرى الممارسات الاستعمارية بكل أبعادها ومعطياتها والقهر الاستعماري في أبشع صوره على مجتمع الدشرة المسالم، مما تمخض عنه صدام عنيف ومقاومة شديدة رافضا (أي مجتمع الدشرة) بذلك كل أشكال الذل والإهانة ناشدا الحرية والانعتاق، وهو ما يعبر عنه الشق الثاني من العنوان (أجنحة)، فيقرر إثر ذلك هجر البرج والانضمام إلى الأهالي، ويشارك معهم في مقاومة المحتل .هذا الصدام الدموي أدى في نهاية المطاف إلى تدمير الدشرة وتهجير سكانها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

***المصادر**

1-سليم بتقة، جذور وأجنحة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، حي المجاهدين بسكرة، الجزائر، ط1، 2014.

***المراجع العربية**

2-إبراهيم جنداوي، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، دار تموزة، دمشق، ط1، 2012.

3-بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني، مجلس تنمية الإبداع الجماهيرية، بنغازي، ط1، 2004.

4-حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000.

5-حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2000.

6-حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة مخلوقات الأشواق الطائرة، دار نينوى، دمشق، سورية، ، د ط، 2011.

7-صالح ولعة، المتخيل الصحراوي في الرواية العربية، مخبر الأدب العام والمقارن، عنابة، الجزائر، د ط، 2014-2015.

8-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مطابع الرسالة، الكويت، د ط، 1996.

9-مصطفى الضبع، إستراتيجية المكان في السرد العربي دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط2، 2018.

10-مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينه (حكاية بحار الدقل، المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2011.

11-محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2011.

12-نبيل حمدي، عبد القادر الشاهد، العجائبي في السرد العربي القديم (مائة ليلة ولية والحكايات العجيبة والغريبة نموذجا)، دار الوراق، عمان، ط1، 2012.

13-وليد شاكر النعاس، المكان والزمان في النص الأدبي الجماليا والرؤيا، دار تموزة، دمشق، ط1، 2014.

14-ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية العامة، بغداد، د ط، 1986.

***المجلات**

15-أحمد مجيد البصام، ثنائيات المكان الروائي وأثره في عتبة عنوان الرواية العراقية، مقاربة سيميائية، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العدد56، 2020.

16-أمينة أقيس، فعاليات الوصف في بناء الفضل عند فضيلة فاروق-تاء الخجل أنموذجا، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، مركز العربي الديمقراطي برلين، ألمانيا، المجلد4، العدد13، مايو 2020.

17-صباح كريم مولود، الفضاء الروائي في رواية كرنك لنجيب محفوظ، جامعة تكريت العلوم الإنسانية، المجلد19، العدد10، تشرين الأول 2012.

18-عبد القادر سلامي، العوفي نوال، الفضاء الصحراوي وجمالية تجريبه، المجلة العربية المداد، المجلد5، العدد12، جانفي 2021.

19-زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد6، جانفي 2010.

20-فازع حسن المعاضيدي، باسم محمد عباس، بناء المكان الروائي في روايات صنع الله إبراهيم، مجلة جامعة الأنبار واللغات والآداب، العدد6، 2012.

21-نسيم حرار، عنف الفضاء الروائي في المدينة الجزائرية سنوات التسعينات رواية دم الغزال لمرزاق بقطاش أنموذجا، الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، العدد1، د ت.

22-نورا سمير محمد وآخرون، جماليات المكان في أعمال إيهاب الورداني القصصية، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، العدد45، 2021.

23-وفاء غالية، الفضاء الجغرافي والفضاء النصي في رواية شرق المتوسط لعبد الرحمان منيف، مجلة آفاق علمية، نصف دورية سنوية محكمة، المركز الجامعي تمنغاست، الجزائر، العدد12، ديسمبر 2016.

***المعاجم**

24-براهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج1، د ط، دت.

25-جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000.

26- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 1431-2010..

27-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 1426

28-محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986.

***الرسائل الجامعية**

29-كريمة بورويس، بنية الفضاء الرعوي في الشعر العذري، شهادة ماجستير في الأدب العربية القديم، قسم اللغة العربية، كلية الأدب واللغات، إشراف: الأخضر عيكوس، جامعة قسنطينة، 2004-2005.

30-عبد الله توام، دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية رواية الآن... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى لعبد الرحمان منيف، رسالة دكتوراه، تخصص السيميائيات وتحليل الخطاب، قسم اللغة العربية والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، إشراف: هواري بلقاسم، جامعة أحمد بن بلة، وهران1، 2015-2016.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
إهداء	//
شكر وتقدير	//
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: الفضاء السردي	16-5
1-مفهوم الفضاء السردي	6
1-1: الفضاء السردي لغة	6
1-2: الفضاء السردي اصطلاحا	7
2-أنواع الفضاء السردي	9
2-1: الفضاء كمنظور أو رؤية	9
2-2: الفضاء النصي	9
2-3: الفضاء الجغرافي	12
2-4: الفضاء الدلالي	12
3-التمييز بين الفضاء والمكان	13
الفصل الثاني: سلطة الفضاء الصحراوي في رواية جذور وأجنحة	55-17
1-هندسة الفضاء الصحراوي في الرواية	18
1-1: الفضاء المفتوح	18
1-2: الفضاء المغلق	26
2-علاقة الفضاء الصحراوي بمكونات الرواية (الزمان، الشخصية واللغة)	33
2-1: علاقة الفضاء الصحراوي بالزمان	33
2-2: علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصية	38
2-3: علاقة الفضاء الصحراوي باللغة	48

فهرس المحتويات

3-الفضاء الصحراوي بين الواقعي والعجائبي	51
3-1: الفضاء الصحراوي الواقعي	51
3-2: الفضاء الصحراوي العجائبي	53
الخاتمة	57-56
الملاحق	61-58
1-بطاقة فنية عن الروائي "سليم بتقة"	59
2-ملخص رواية "جذور وأجنحة"	61
قائمة المصادر والمراجع	66-62
فهرس المحتويات	69-67
ملخص الدراسة	//

ملخص الدراسة

رواية جذور وأجنحة من بين الروايات المعاصرة التي تناولت الفضاء الصحراوي بشتى معالمه، بحيث كشفت هذه الدراسة سلطة طبيعته وهندسته من خلال الغوص في أسراره ومكنوناته اللا متناهية. حيث يسعى هذا الفضاء إلى التأثير بلمسته الخاصة على الإنسان ونمط حياته وتعايشه وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية مما يجعله ذا جذور صحراوية، كما أنه له أثر على اللغة حيث بدت لغة متميزة، ولغة قوية وقاسية كقساوة الصحراء، في حين تكشف لنا الشخصية التي لم تألف هذا الفضاء متأرجحة بين الانبهار والانجذاب بل حتى التماهي معه.

Abstract

The novel « Roots and Wing » is among the cntemprary novels that dealt with the desert spase withe its various features. This study revealed that the desert’s natural power has n the architure of the space and diggig deeply in its endless secrets. This desert’s space seeks to have an effect of its special touch on man, his life style, coexisence, his ehaviour and social relations,which makes him has desert roots.it also has an impact on his language, making it a local distinct from other languages. While, the other charter scillates between the acceptance of the space and attrction and fascination with its charm nature.